وليم شكسبير

ڤينوس وأدونيس

قصة شعرية لشكسبير

ترجمة

عبد العزيز توفيق جاويد

كلمة المترجم

ماأنجبت مثل (شيكسبير) حاضرة ولا نمت من كريم الطير غنّاءُ

نالت به وحده (إنكلترا) شرفاً مالم تنل بالنجوم الكثر جوزاءُ

لم تُكشَف النفس لولاه ولا بُليت لها سرائر لا تُحصى وأهواءُ

شِعرٌ من النّسق الأعلى يؤيِّده من جـانب الله إلهامٌ وإيحاءُ

من كل بيت كآى الله تسكنه حقيقة من خيال الشعر غرّاءُ

وكل معنى كعيسى فى محاسنه جاءت به من بنات الشعر عذراءُ

أو قصة ككتاب الدهر جامعةٍ كلاهما فيه إضحاك وإبكاءُ

مهما تُمثَّل تـر الدنيا ممثّلة أو تتل فهى من الانجيلُ أجزاءُ

(شوقى)

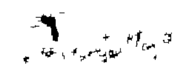
هذا ما قاله فى شيكسبير شاعر الإنجليز ، أمير الشعراء ببيانه المعجز كما كان يسميه المرحوم الدكتور محمد صبرى السربونى .

ومنذ أمد غير بعيد ، تناقل الناس أنه لئن فقدت إنجلترا إمبراطوريتها

بأنها لاتزال تغزو العالم وتتحكم فى ألباب سكانه بعاملين عملاقين : كرة القدم وشيكسبير .

وهذه القصيدة القصصية « فينوس وأدونيس » دبّجها نظْماً شيكسبير العظيم ، رأس شعراء الإنجليز على الإطلاق ، وحكيم من قصَّد القصيد . وظهوره فى التاريخ يشهد للأدب الإنجليزى بالأصالة المطلقة . بل إن بعض الناس ليتساءل : هل هو شاعر جميع الأمم ؟ ويؤيدون ذلك بما تفرّد به من روعة الفن وسلاسة العبارة ، والقدرة الفائقة على الغوْص فى أعماق النفس البشرية ، واستخراج دقائق مكنوناتها .

عُمِّد وليم شيكسبير بكنيسة الثالوث المقدس بمدينة استراتفورد أُنْ أفون فى ٢٦ إبريل ١٥٦٤ . أما تاريخ مولده الدقيق فغير معلوم ولكن يفترض أنه الثالث والعشرون من ابريل . ولا يكاد يعرف شئ عن طفولته وشبابه . ولكن المعروف أنه انتظم بمدرسة القرية خمس سنوات درس فيها بعض مبادى القراءة والحساب وطرفاً من اللاتينية وأصيب والد شيكسبير بعسر مالى وهو فى الثانية عشرة من عمره، وفاضطر إلى الانقطاع عن المدرسة والاشتغال ببعض المهن الصغيرة ومساعدة والده فى بعض أعماله . وتزوج من آن هاثاواى (١٥٨٣) كانت تكبره بثمانى سنوات .



واختلف إلى جامعة إكسفورد فيما يروى ، ثم أصبح عضوا محترفا وكاتبا للمسرحيات بفرقة تمثيل شهيرة . وأخذت مكانته تعلو بلندن كممثل وكاتب مسرحية . وعاد إلى قريته ثريا ميسور الحال فى (١٦١١) وأقام بها حتى مات فى ٢٣ ابريل ١٦١٦ .

ألف شيكسبير ثمانى وثلاثين مسرحية منها المأساة ومنها الكوميديا ومنها التاريخية . أما هذه القصيدة القصصية (١٢٠٠ بيت) فقد اقتبس شيكسبير موضوعها عن شاعر الرومان (أوفيد) الذى كتب عن « فينوس » ربة العشق والحسن والشهوة والجمال ، وأدونيس آية البشرية فى الجمال والشباب .

تلك قصة شعرية تكاد تكون باكورة أعماله الأدبية (١٥٩٣) هى وقصيدة « اغتصاب لوكريس » (١٥٩٤) ورغم ذلك يتجلى فيها منهج شيكسبير الذى انتهجه طوال حياته كلها فى الكتابة الادبية . ويتجلى فيها ولعهُ الشديد بالتوريات وحبه البالغ للطباق والجناس والنقائض والاضداد ، وعظمة قدرته فى تصوير الشخصيات ، وحبك الحبكات ، والتغلغل فى أطواء النفس ، وتحليل أعماقها ، وخلق الحوار المتقن الذى يصور الشخصية .

وكأن هذا الحوار إرهاص بما سيرتفع إليه فن الحوار عند الشاعر الملهم من سمو معجز فى سائر مسرحياته .

تُجن فينوس بحب أدونيس وتعترض طريقه وتدعوه لنفسها والمتعة بها ، ولكن الفتى لا يهتم بها ولا يأبه بما تسميه الحب ، إذ شغفه الصيد والعفاف . وعبثا تحاول فينوس أن توقعه فى أحابيلها مستخدمة كل ألاعيب الأنوثة والإغراء ، وإذا هى تهجم عليه وتضمه إليها وترتمى به على الأرض ، فيتكدر ويثور ويتخلص من عناقها الشبق . ويهبّ إلى جواده فإذا قد أغوته مهرة حسناء وينطلق بعد هذا لصيد العِفر وهو خنزير برّى شرس ، ينطلق رغم مناشدتها إياه وتحذيرها الشديد له من شره وضراوته . وتنتظر فينوس بعض الزمان ثم تخرج للبحث عنه بين الأدغال . وهنا يبدع شيكسبير فى شرح ما يمر بها من خلجات نفسية بين آمال ويأس وخيبة وتطلع ، ويمعن تحليلا لما يمر بنفسها من انفعالات متضادة أثناء لحظات الهول والخطر ، وهنيهات الرغبة الجامحة والحبوط القاتل .

وإذا بها تنتهى إلى جثة أدونيس هامدة وقد صرعه العفر الأثيم . وهنا يعود شيكسبير إلى التحليل والتفصيل ثم تتحول الجثة إلى بخار وتنمو فى دمائها زهرة بيضاء ناصعة رُقشت بوشى أحمر قان . فتنتزعها فينوس وتضعها بين ثدييها البديعين ، ثم تركب مركبة أخف من الضياء تحملها اليمامات البيض وتطير بها إلى بافوس منتجع السلام والهدوء الأبدى حيث تقضى بقية أيامها فى عزلة حزينة يائسة .

وقد اهتم شيكسبير بهاتين القصيدتين فينوس ولوكريس وأهدى الأولى إلى نبيل مرموق . وأخذ يطبعها كلما نفدت الطبعات حتى إنه طبع فينوس سبع عشرة مرة . وقد أجمع النقاد على توهج ذكاء شيكسبير فى قصيدتنا هذه وقدرته على أن يجعل كل شىء ماثلا أمام القارئ وتصوير العواطف والانفعالات ، وقدرة الرجل على أن يتغلب على غواية المرأة والانثى ، حتى تسامى بنظرته إلى أهداف نبيلة غير الجسد والتلامس والنسل . صراع بين الشهوة والعفاف فيه من الشهوة إسفاف وفيه من العفاف الطهر الخالص .

وقد حاول المترجم ما استطاع أن ينقل بالشعر إلى القارئ العربى شيكسبير كاملا بخلجاته ونبراته وتحليلاته وأدق تفاصيل فكره ، وانتهج فى هذا نهجا عربيا واضحا واختار أن يجعل شعره ملتزما بقواعد العروض الأساسية بحال يربطه تماما إلى الشعر الموزون المنضبط المقفى على شىء من التحرر والتبسيط والتطويع الذى يقتضيه المقام ، ولكنه تحرر لا يصل به إلى حد الشعر الحديث الذى يذهب إليه بعض شعراء هذا الزمان . وأردف الترجمة بشروح تزيد القارئ إيضاحا وتبيانا .

فأرجو أن يحوز جهدى هذا رضا جمهور القراء فى بلاد الضاد التى تحب شيكسبير .

ع . ت . جاويد

٢٠ يناير ١٩٧٨

وللذكرى والتقدير

أقرر أن صدور هذه القصيدة إلى قراء العربية تم بفضل الشاعر الكبير المرحوم – صلاح عبد الصبور الذى أقر ترجمتها وشجع ، وانتهجت فى نسجها نهجه الذى استنه فى الشعر الدرامى العربى بمسرحيته الجليلة «مأساة الحلاج» بما قيض لها من عبقريته فى نسج القصيد من يسر وسهولة وتحرر وتطويع ، فكان له الشكر حيا ، وله فى الدار الآخرة الثناء والرحمات .

١٤ يوليو ١٩٨٥ م　　　　ع . ت . ج

التعريف بالمترجم

ولد المترجم بالقاهرة بحى الخليفة . وأمضى دراسته الابتدائية بمدينة رشيد ، والثانوية بمدرسة الأوقاف الملكية الثانوية (الخديو إسماعيل حاليا) والعليا بكلية المعلمين العليا .

وكان ميالا لدراسة اللغات العربية والإنجليزية والفرنسية . واشتغل بالتدريس بمدارس قليوب وأبشواى ومنوريس ومصر الجديدة الثانوية حيث رقى وكيلا لها

شغف بالترجمة فنقل كثيرا من أمهات الكتب الإنجليزية الجليلة منها :

١ ـ هـ . ج . ولز : معالم تاريخ الإنسانية Outline of History

٢ ـ هـ . ج . ولز : موجز تاريخ العالم .

٣ - جوستاف فون جرونى باوم : حضارة الإسلام

أو (إسلام العصور الوسطى)

٤ - الحضارة البيزنطية .

٥ - الحضارة الهللينستية .

٦ - ميلاد العصور الوسطى .

٧ - مدخل إلى علم النفس الحديث

٨ - سلوك الأطفال

٩ - الطفل من الخامسة إلى العاشرة

١٠ - آسيا والسيطرة الغربية

١١ - حضارة إيطاليا فى العصور الوسطى (لبورك هارت)

وغيرها كثير .

وله أيضا : جذوات فى الصقيع ، وهو ديوان شعر لم يطبع .

حاز جائزة الدولة التشجيعية فى الترجمة لعام ١٩٨١ م .

حاز وسام العلوم والفنون من الطبقة الأولى .

فينوس وادونيس
قصة شعرية مترجمة شعرا عن شيكسبير

للیعجب السوق بالخسيس من الأشياء

أما أنا فأتمنى أن يقدم أبوللو الذهبى اللمة

أقداحا مفعمة بماء نبع الكستلى ..

أى من الينبوع الذى ارتشفت منه تواسيعُ الالهامَ .

وما هذه السطور إلا اقتباس من غراميات أوفيد Ovids Amores

--

إلى فخامة النبيل هنرى ريو ثيسلى

ايرل ساوثها مبتون وبارون تيتشفيلد

يا صاحب الفخامة

لست أدرى هل عساى أبعث فى فخامتك من الكدر بإهدائى

إلى فخامتك هذه السطور غير الطلية ، وكم عسى أن أجد من الناس من لائمة باختيارى مثل هذا العضد المكين عونا لى على حمل مثل هذ العبء المهين .

ولن أعد نفسى أهلا لكل فخار ، حتى يتجلى لى أنكم تقبلتم عملى بشئ من السرور . وأعاهدكم بأن أنتهز كل ساعة فراغ نفقها فى إعداد عمل أكثر جدية ووقاراً .

فإن أظهرت الأيام أن بكر إبداعى شائه الخلق ، فلشد ما سآسف على أن له شبيها على مثل نبلك . ولن أعاود بعد اليوم الإقدام على حرث أرض أوتيت مثل هذا المحل ، خشية أن تعود فتثمر لى ثمراً على نفس الضرب الردئ الغث ، وإنى لأستودعه كريم تقديركم ورضاكم القلبى عنه الذى أتمنى أن يتجاوب دواماً مع رغباتكم وتوقعات العالم المفعمه بالآمال :

خادمكم فى كل آن وواجب

وليم شيكسبير

فينوس و أدونيس

VENUS AND ADONIS

١ بينما الشمس بطلعتها بلون الأرجوان

لم تكد تستأذن الصبح البكى * وقد أبان ،

قام أدونيس يعاجل مثلها الصيد وورد الخدقان ،

قد أحب الصيد ، أما الحب فهو لديه مرذول مهان ،

عاجلته فينوس والهة الجوارح تقتبل .

ثم راحت مثل مختطب صفيق تستبيه بالغزل .

٢ حيث بدأت : « ويح قلبي من جميل بزّني الحسن باضعاف ثلاثا لا تهون

يا أميراً للزهور ، يا جميلا دونه كل قرين ،

حسنه يكسف كل الحور كسفا ، بزكل الإنس حسنا مستهيما .

(*) هذه العلامة تشير الى الملاحظات والشروح الواردة في آخر الكتاب .

يا بياضا واحمرارا أفـاق وردا أو يماما .
يوم صنعتك الطبيعـة فتخطت* نفسها جهدا و كدا ،
قالت : الدنيا تكون لها النهاية مع حياتك حين تبلغ ثم حدا »

٣ « فتلطف أيها العجب العجاب ! وترجل عن جوادك ،
ثم أوثق* رأسه المختال فى قربوس سرجك ،
إن تكرمت بهذا الفضل ، تستوف ثوابك ،
تتعلم ألف سر من رحيق لشهـد قـد عمـرت وطابـك* ،
ها هنا فاجلس سعيدا حيث لا ثعبان يسعى ، لا يفح ،
ولا يطل ،
أنت إما تتخذ عندى مقـاما أكتم الأنفاس منك بالقبل ، »

٤ « رغم ذلك لا تدع شفتيك تكتظان بالشبع البغيض ،
جوع الشفتين مهما عشت فى رغد عريض ،
ثم صبغ* بالشحوب والاحمرار ، بكل أنواع التغير ،
عشر قبلات قصار كوحيدة ، .. قبلة طالت كعشرين سعيدة
او تقـدر
إن يوم الصيف يبدو ساعة بل أخصرا ،
إن قضيناه بلعب مثل هذا ، فيه تلهية الزمان إذا جرى ! ! »

٥ عند ذلك أمسكت يدها بكف قد تفصد بالعرق* ،

تلك بادرة تُجلّي طاقة أو حيوية إذ تنطلق .
فاعترتها رعدة من شغف قد لقيته بلمسها ،
فمليك الأرض يحبو ربة من فضله متكرما ،
فاستشاطت رغبة عارمة قد أورثتها في الهوى صلب المراس ،
نزعته شجاعة* عن سرجه وبكل بأس .

٦ في ذراع فجأة وضعت عنانا لجواد بالفراهة مفعم ،
بينما الأخرى تشد على الغلام الناعم ،
وهو يحمرّ ويعبس في ازدراء فاتر أو قل بليد ،
وهو منصرف ثقيل الحس .. لا يرضى الدعابة ، .... لا يريد ،
وهي حمراء تلظى مثل جمرات لنار موقدة ،
وهو محمر بخجل ، بينما الرغبة منه قرة[1] متجمدة

٧ باللجام مزركشا في نماذج خشن اللحاء من الفروع ،
عجّلت شد الوثاق رشاقة ، – وي ! ما أخف الحب كالبرق
السريع !
يُعقل الفرس الجواد وعاجلا بأقل حين
كي تغل الراكب الفرد تجرب ثمّ في عزم مكين :
للوراء دفعته مثلما قد تشتهي أن تُدفعا ،
غلبته قوةً ، ما غلبته شبقاً ممتعا .

(١) قرة : بفتح القاف اي ان رغبته باردة ، وان احمر خجلا .

٨ وسريعا ما ارتمت في جنبه وهو على الغبراء ملقى راقد
وكلا الطرفين متكئ على حقو [١] وكوع يسند
وهي آنا قد تربت خده ودا ، وآنا هو في ضجر عبوس
شارع في لومها ، .. لكن سريعا تكتم الشفتين في وله يشوس
إذ تقبله محدثة بلغة الشهوة المتقطعة* :
« إن تحدثت بلوم لي فلن تنبس شفتاك* ببنت [٢] موجعه . »

٩ وهو يتلظى بعار لا يريم ؛ . . وهي بالدمع الهتون
تطفئ الحرق العذارى في أديم الوجنتين ،
ثم بالزفرات عاصفة وبالشَعر الذهب ،
تجعل الأنفاس والخصلات مروحة تجفف عن كثب ،
وهو ينسبها لقلة الاحتشام ، منكرا فعلتها ،
ما تبقى بعد ذا تقتله قبلتها .

١٠ مثل نسر جائع ، هاجت شهيته على طول الصيام ،
بالضراوة أعمل المنقار في ريش ، ولحم ، وعظام ،
بجناحيه يرف ، وهو يلهم كل شيء في عجل ،
بين حشو اللهاة وبين إفناء وقضم للفريسة لم يطل ،
مثله هي تمطر القبلات في العينين ، في الخدين ، في الذقن العنيـــد ،

(١) حقو : الخصر وما دونه .
(٢) بنت شفة موجعة : ببنت شفة (اى كلمة مؤلمة) .

كلما فرغت فسيرتها تعاود من جديد .

١١ وهو مضطر لأن يقنع* ، لكن مطلقا هو لن يطيع ،
لاهثا يرقد ، لكن مرسلا أنفاسه فى وجهها غير سميع ،
وهى تتغذى على الأنفاس تغذية الكواسر بالفرائس ،
وهى تنشقها بخارا قدسيا ؛ .. فهى نعمى من عطاء
ونفائس
تتمنى لو يصير الخد بستان زهور نا ضرة ،
طالما هو يتندى بندى زفراته المستقطرة .

١٢ فتأمل كيف يرقد طائر متورطا فى شبكه ،
هكذا يرقد أدونى [1] بين أحضان ذراعيها أسير معركه .
قد دعاه خالص العار وذود* [2] هائب أصناه أن
يتكـدرا ،
وهو أمر زاد عينيه المحنقتين حسنا باهراً .
إن همى القطـر إلى نهر ملئ الصدر صاف .
فهو قهراً سوف يضطر إلى غمر الضفاف .

١٣ وهى تفتأ تتوسل ، .. فى جمال تتوسل ، . . .
فإلى الأذن الجميلة لحنت قصتها دون تمهل ؛

(١) أدونى : المقصود به هو : أدونيس .
(٢) وذود هائب : أى مقاومة يداخلها الهيبة .

وهو لا يفتأ ينفر ، وهو لا يفتأ يعبس ، يتكدر ،
بين خجل قرمزى أو شحوب شاحب من متضجر
فإذا احمر تعاطيه أعز الحب ، .. أما إن شحب ،
فالأعز من الأعز مع المزيد من ابتهاج وطرب .

١٤ فليكن مظهره ما قد يكون – هى لا تملك إلا أن تميل ،
وهي تألو بيد فاتنة (خالدة) ، إذ ليس للموت عليها
من سبيل

لن تغادر صدره الغض النبيل ،
أو* يهادن دمع عينيها الذى يعترك ، فى لطف جميل ،
التى قد أمطرت مطراً غزيرا ، بلل الخد الأسيل
قبلة واحدة شهدية فى ذلك الدين الثقيل .

١٥ عند هذا الوعد يرفع ذقنه متوسما ،
فهو يعرض أن يعاطى ثغرها ما يشتهى مستسلما ،
مثل طير الماء* ينظر من خلال الموجة ،
فإذا رآه رآه غاص فورا فى صميم اللجة ،
فإذا هاءت* (١) مراشفها تقاضى ما سيدفع من ثمن ،
اغمض الأجفان عنها معرضا بالشفتين والأذن .

١٦ قط. ما كان المسافر فى هجير الصيف سائر

---

(١) هاءت : اى هيأت شفتيها لتتقاضى .

ـ ظامئا ـ أظمأ منها نحو عطف من مفاتنه* السواحر ،
تبصر الغوث بعينيها فتحرمها من الغوث المقادر ،
وتخوض الماء سبحا ولهيب القلب ساعر ،
وهي تصرخ « ويح نفسي ! يا غلاما قلبه الصخري جلمود المحاجر ! »
« إنما هي قبلة واحدة أسألها لم أنت من خجل تكابر ؟ ! »

١٧ « إنني غوزلت قبلا مثلما أستعطف الآن وأكثر ،
نفس رب الحرب والبأس الشديد الصارم البطش المدمر ،
الذي لم يحن عنقا أغلبا فيما أدار من العرام ،
والذي يقهر حيث يحل من ساح الصدام ،
صار مع هذا أسيري ، ـ صار عبدي ،
كان يسأل نيل ما تعطاه من غير تكدي* (١) .. »

١٨ « هيكلي المرموق قد علق حربته عليه قبهر ،
ودرعه المرضوض علق جنب خوذته التي لا تقهر ،
وهو من أحلى تعلم كيف يرقص ، كيف يدعب ،
كيف يرتع ، .. كيف يمجن ، . . كيف يبسم ، كيف يمزج ، .. كيف يلعب »
ساخرا مما له من طبلة الحرب الغليظة مع قاني شارته (٢) ،

(١) التكدي : الإلحاح في المسألة .
(٢) قاني شارته : هنا إشارة إلى لون الأرجوان القاني الذي هو شارة الملكية .

جاعلا زندى حومته وفرشى خيمته ! ؟ !! »

١٩ « هكذا من ساد جبارا بسلطانى قهرته
وأسيرا عانيا ورهين سلسلة بلون الورد قدته
فالشديد من الحديد الصلب فُلَّ ، فعزمه الأقوى العفىّ
هنا أطاع
مع هذا كان مرقوقا ذليلا لازدرائى فى دلال وامتناع
ويلتى ! ... لا تتكبر ، .. لا تفاخر قط بالعزم الشديد ،
كى تغالب من أذلّت سيدَ الحرب العنيد ! »

٢٠ « ما عليكا لو تلامس شفتيا شفتاك الحلوتان
ربما لم تبلغا شأوهما حسناً ، ولكن ها هما ياقوتتان
قبلتى ستكون ملكك مثلما هى لى أنا
ما ترى فى الأرض ؟ فارفع رأسك انظر لى أنا .... !
فتأمل مقلتىّ إذ هما لك موئل لجمالك الزاهى المبين !
لم ليست الشفتان فى الشفتين والعينان فى العينين ؟! »

٢١ « أنت تخجل أن تقبل ؟ من جديد أغمض العين قليلا ، ...
سوف أغمضها كذلك كى يصير الصبح ليلا ،
يحفظ الحب ملذته إذا لم يلق غير اثنين ودا ؟
كن جريئا ! واغنم اللعبة لن تبصرنا عين تعدّى*(١) »

(١) تعدى : أى تتعدى علينا بالنظر .

تلك زهرات البنفسج ذى العروق الزرق سمناها كمتكأ
ومرقــد ،
لن تثرثر ، لـن تبوح بسرنا كلا وان تجهل ماذا نحن
نقصــد . »

٢٢ «والربيع الغض* فى شفتيك مغريتين فاقا
كاشفا قلة نضج فيك لكن ليس يمنع ذاك منها أن تذاقا :
لا تضع وقتك واعجل ! ... واغتنم أقرب فرصة ! . . .
فالجمال الغض مما ينبغى ألا تضيّع منه حصة :
فالزهور النضر إن لم تجن فى ريعانها
تتعفن ثم تبلى فى أقل أوانها . »

٢٣ «إننى لو كنت شوهاء مغضنة عجوزا حيزبونا ،
فظة الطبع شموسا ، ذات صوت منكر فاق الأتانا [1] ،
أو مهدمة محقرة لها جسد رثى* بارد ،
كلة العين ، وقاحلة وهزلاء ، ويعوزها الرحيق المسعد ،
عندذلك كان يمكنك التوقف ، .. حيث لم أخلق إذن من أجلكا ،
غير إلى حرة من كل عيب ! . لم تمقتنى ؟ بماذا رمت
أن تتمسكا ؟ »

(١) الأتان : الحمارة .

٢٤ «لن ترى تخديدة واحدة فوق الجبين ،
ولحاظى الشهب* نجلاء كعين الرئم* ترنو مسرعات
بالفتون ،

وجمالى كالربيع النضر ينمو كل عام ويفور ،
إن جسمى هو غض وسمين ونخاعى يتلظى ويثور ؛
لو يدى الملساء والرخصة* عرقا قط لمستها يداكا ،
لامتد يبت ثم فى الراحة* أوكادت تذوب بما تعانى من هواكا »

٢٥ «لو أذنت ، نظمت كلماتى ، أسحر بغنائى مسمعك
أو كفيرى* Fairy سوف أخطو فوق يانع خضرة الروض
معك ،

أو كحوراء ، طويلا قد تشعث شعرها أو قيد غزر ،
حين أرقص فوق سطح الرمل لكن لست أترك فوقه أدنى أثر
فالهوى روح تأصل من سعير*
ليس ثقلا فيغوص ، بل خفيف وإلى أعلى يحلق ويطير . »

٢٦ «شهد حوض من زهور الورد قد ملت عليه ثم أرقد ،
أن ذى الزهرات واهنة لكالشجرات باسقة لتدعمنى وتسند
رب جنح يمامتين ضعيفتين أشالنى كبدالسماء ،
حيثما شئت مضى بى وعلى متنه أمرح من صباح للمساء ،
هل ترى الحب زهيدا هكذا ، يا أيها الولد الجميل ؟
كى تراه مرهقا وكأنه العبء الثقيل ؟ ...»

٢٧ « هل ترى يولع بمحياك فؤادك ؟
* هل ترى تستطيع أن تحتال بيمناك على الحب فتودعه شمالك ؟
غازل النفس إذن ! ... وبنفسك أرفض نفسكا
واسترق حرية النفس ، وبادر فاشك ممن سرقكا ! !
إن ناركيسوس* أبصر نفسه والنفس حسان ،
ثم أودى لاثما لخياله وسط الغدير على المكان ! . . »

٢٨ « والمشاعل ثم تصنع كى تضئ والجواهر كى تقلد* (١)
والملذات تذاق والجمال النضر كى يهوى ويعبد ،
والأعاشيب لرياها* (٢) والنبات الغض كى يجنى ويحمل
ما نما من أجل نفسه فهو عار للنماء ليس يَجْمُل ،
والبذور نابتات من بذور والجمال للجمال يولدُ
قد حصلت على وجودك ؛ إن إيجاد الوجود واجب الك خالدُ »

٢٩ « فلماذا تُطعم النفس بثمر الأرض حرا ؟
بينما لم تَطعَم الأرض باثمار التكاثر منك طرا ؟
فبناموس الطبيعة مجبر أن تتكاثر ،
كى يعيش ذووك بعدك عندما تفنى حياتك وتغادر ،
وبذا رغما من الموت ستبقى غير داثر ،
حيث حيا سوف يتبقى شبيهك بعدُ حاضر . »

(١) تقلد اى : تلبس .
(٢) لرياها : اعطى عطرها وشذاها .

٣٠ عند هذا شرعت الملكة - برّحها هيام الحب - تعرق ،
إذ تزحزح عنهما حيث اسبطرا نازح الظل فأطبق
وجه تيتانٌ [1] مطلا فى هجير الظهر مرهق ،
وبعين تتلظى أججا من فوقهما وأطل كسعير معلّق ،
يتمنى لأدونى أن تكون له الذرارى ثم يقتاد رعيله ، ...
كى يكون مثيله وبجذب فينوس الجميلة .

٣١ عندها راح أدونيس بروح متكامل ،
وبعين البغض قاتمة التثاقل
وحواجب مكفهرات تدلت فوق مقلته الجميلة ،
مثل أبخرة الضباب وقد علت وجه السما منها غلاله ،
مررتْ خدّيه ، وهو يصيح «ويلى ! ... لامزيد من الغرام ! ...
إن شمس الظهر تحرق وجنتىّ ، فلا مقام .. »

٣٢ «ويح نفسى ! » تلك فينوس تقول «أصغير ثم تقسو وتضير؟ !
أى عذر تافه تنشده كيما تسير ؟
سوف أرفر زفرة قدسية كى تبعث الريح الرقيق .
ليبرد من حرارة هذه شمس الحريق :
وسأرخى فوق رأسك ظُلّةً : هذى الشعور ....

(١) تيتان : إله الشمس .

فإذا احترقت كذلك فسأطفئها بما أسفح من دمع غزير !!... »

٣٣ « إذ تضئ الشمس لا تعطى سوى دفء يفيض من السماء ،
انظر الآن تجدنى بين شخصك وذُكاء* [١] :
والحرارة من هنا لك – هى برد وسلام – إن أتتنى ،
ولحاظك حين ترمى تقذف النار التى قد أحرقتنى
اننى لو لم أكن خالدة (لافانيه) ،.. لانتهت منى حياتى ، انتهت فى ثانيه .
بين هذى الشمس شمس الأرض وشمس السماء العاليه . »

٣٤ « هل عنيد أنت ؟ صوان وصلد القلب كالفولاذ حرا* ؟ !
ويك كلا !أنت أصلب من بلَنَط* [٢] !..(لو يمس القطر [٣] صخرا ، لان فورا :
هل تكون ابنا لأنثى ثم لا تملك حسا ذا وجيب ؟
لمعانى الحب ، إذ إعوازه نار عذاب
هل ترى ولدتك أمك حاملا عقلا عنيدا ؟
إنها لما تلدك ، . . حيث ماتت فظَّة* قد أوتيت طبعا شديداً ! !.... »

٣٥ « ما أنا حتى تعرضنى كذا للامتهان المبتذل ؟

(١) ذكاء هى : الشمس .
(٢) بلنط : حجر شديد الصلابة .
(٣) القطر : المطر .

اى خطر داهم يكمن فيما رحت أبذل من غزل ؟
أى سوء سوف يلحق مرشفيك بقبلة مسكينة بين القبل ؟!
قـل جميلا ».. قـل جميـلا ! — .. أو فخـذ
من فضل صمتك ماجمل
أعطنيها قبلة واحدة «... إن لها فى الحال رجعى ».
ثم أخرى هى ربح إن ترد تأخذ شفعا* !.. »

٣٦ « ألنت تب !. . صورة ميتة » . . ياحجرا متبلدا حُرِم
الحواس مع الحياة !..
أيها الصنم المرقش ، أيها الوثن المبلد والموات !..
أيها التمثال لا يرضى سوى العين فحسب . .
أنت شئ مثل رجل لست نسلا قط لامرأة تدب
فالحقيقة لست رجلا ، إن شَرُفْتُ بطلعته ،
يلثم الرجل النساء بكل حُر إرادته . »

٣٧ ما انتهت من قولها حتى تغلب نافد الصبر على ذرب اللسان
يستدر الغضب الفياض صمتا : هدأة تعيى البيان[1]
فالخدود الحمر والأحداق فى نار تعالت ما بها من لذع ظلم وألم
ليس تملك فى قضيتها رشادا وهى فى شتى شئون الحب قاضٍ
وحكم

(١) تعيى البيان : تعجز اللسان .

وهى طورا ترسل الدمع وطورا تشتهى لو تتكلمْ
ثم أحيانا قضيتها على الدمع تُحَطَّم

٣٨ وهى أحيانا تحرك رأسها أو قد تهزله يدا كالمتظنى*
وهى ترمقه بعين تارة وبتربة الأرض تُثنّى (١)
ثم أحيانا تطوقه ذراعاها وثاقا وربا طا
تتمنى ، وهو يأبى ، أن يكون فى ذراعيها محوطا
فإذا كافح ، ثمة يبتغى منها خلاصا
واحدا فى واحد قد أطبقت زنبق أنملها فلم يجد المناصا*

٣٩ «أيها الأحمق !» قالت : « منذ أن طوقت شخصك هاهنا ..!
فى إطار مستدير من نطاق العاج* حاطك ممعنا ،..
اننى سأكون بستانا ، سأجعل منك فيه غزالى، ..
فيه تطعم حيث شئت بين واد أو جبال ، ..
ترتعى ما بين شفتى ، فان نال الجفاف من التلال
فتحول هابطا بين الوهاد ، فالينابيع هناك حوت من
الماء الزلال . »

٤٠ « إن فى هذا النطاق لما يفى ماتبتغيه من ارتياح* ،
كلأ حلو لدى القاع وسهل منجد فيه انبساط ومراح ،
وتلال* عاليات مستديرة ، .. وغياض مجاهل متكاثفه ،

(١) تثنى : اى تنظر إليه أولا ثم تثنى بالنظر إلى الأرض .

وهى تؤويك من الأمطار ، من شر الرياح العاصفه ،
عند ذلك كن غزالى ، حيث إلى ذلك البستان .
إن كلبا لن يهيجك من مكانك وإن استنبحت ألفا فى مكان . »

٤١ عند ذاك افترّ أدونيس ابتساما مثل من هو فى استياء ،
فبدت غمازة فى كل خدّ ذات حسن وبهاء ،
أبدع الحب بسبك النقرتين فإذا ما ذبحوه ،
جاز فى قبر بسيط مثل ذا أن يدفنوه ،
مذ درى لو أرقدوه ها هنا – شمأن الرفات ، –
فهناك الحب يحيا وهنالك ليس يمكن أن يموت ؟

٤٢ أين من كهفيه شىء ! ؟ أى حسن فاتن فى النقرتين ! !
ها هما ثغران راحا يفتحان – لالتهام هيام فينس – شفتين
مسبقا جنت نُهاها ، أين منها الآن من عقل رشيد؟
مسبقا ضربت فصرعت ، أى إعواز إلى ضرب جديد ! ؟
ملكة الحب الحزينة نؤت بالأشحان فى أكناف شرعتك النبيلة
إذ تحبين خدودا باسمات بازدراء نحو شخصك يا جميلة !

٤٣ أى درب ستجوز الآن ؟ ماذا ستقول ؟
انتهت كلماتها ، وتزايدت أحزانها من حيث لم تجد القبول
ذهب الوقت هباء ! ثم أفلت صيدها أو كاد من أسر الشباك
وهو من بين ذراعيها المطوقتين قد راح يحث على الفكاك

صاحت الحسناء : «رحماك ! .. وبعض الفضل والرحمة !
تأنيب الضمير ! ..»
وهو ينهض واثبا ومعاجلا نحو الجواد كمن يطير .. !

٤٤ لكن انظر ! إذ بدت فى غيضة كانت هناك مجاوره ،
مهرةٌ هى طفلة مهتاجةٌ شهوية متكبره
فيراها فرس أدونيس الجواد السابقُ
وهى تهطع ، ثم تنخر ثم تصهل صهلة* لاتُلحقُ !
والجواد الأغلب* المربوط فى الأغصان راح يشدها ،
جاذب الأرسان حتى قدّها ، وانساب يجرى عندها .

٤٥ وبغطرسة ينط ثم يصهل قافزا أو يتواثب ،
ثم ها هو ذا يقدّ حزامه المجدول نسجا فى تراكب .
ثم تجرح ما اعتلاه من ثرى الأرض حوافره الصلاب والرُّحاء* [1] ،
فيدوِّى جوفها فى مثل قصف الرعد فى كبد السماء .
فى الشكيمة من حديد بين أسنان شداد راح يقضم ؛
وبذا يحكم فيما كان فيه يتحكم .

٤٦ قد تألّت* [2] أذناه ، وعرفه المنساب فى الخصلات
جثلا وطويلا

(١) الرحاء : اى الضخمة المستديرة .
(٢) تألت : انتصبت أذناه .

فوق رقبته المقوسة استقام وقف حتى قد غدا إكليلا ،
منخراه يشربان من هواء الجو ويعيدان قدرا لا يهون ،
يزفران من البخار بمثل أنفاس الأتون ،
ثم عيناه اللتان بكل سخر تلمعان لهيب نار .
قد تفززتا بشهوته السخينة ورغبته القوية ـ لا قرار .

٤٧ وهو يركُضُ فى الأحايين كمن جدَّ يعدد خطواته . ،
فى جلال رائق ، فى كبرياء وادع فى لمحاته ،
ثم فورا قد يشب قائما أو طافرا أو يتطامر
هل تراه كمن يقول : « ألا انظروا انى أجرب قوتى إنى أغامر ! . . . »
« إننى أفعل هذا أبتغى أسر العيون
التى ترنو بهن المهرة الحسناء وتثير الفتون ! . . . »

٤٨ كيف يهتم بحثٌ غاضب من راكبه .. !
أو بتدليل : « ألا هيا بنا ! .. وأقول ! قف ! » من صاحبه
ثم ما يعنيه من شنكم ومن وخز بمهماز يهيجه ؟ !
ثم ما تعنيه أجلال* [1] مزركشة وحليات بهيجه ؟ !
إذ يرى محبوبه ،... بل لا يرى شيئا سواه ..
ليس شيء غيره متوافقا مع متعال كبر عينيه وما يُرضى هواه .

٤٩ فتأمل ! ، حيث يمكن للمصور أن يفوق على الحياة بالطماح ،
كيف بالمرقاش يرسم صافنا * حسن التناسب ؟ لا جُناح ،
فنه الممتاز مع صُنع الطبيعة فى كفاح

(١) اجلال : طقم الفرس وغطاء سرجه .

وكأن الميْت يجدر أن يفوق أولى الحياة متى يُتاح
هكذا قد فاق كل الخيل ذاك الصافن ، كان إماما :
فاقها شكلا وإقداما ولونا ونشاطا وعظاما* .

٥٠ أقْوَرُ* الحافر ، مقصور المفاصل ، أشعث الخلخال حجلٌ طاف بالسيقان ،
وصغير الرأس ، وافى العين ، عبلُ الصدر رحب المنخرين
رافعُ التاج ، دقيقُ الأذنين ، مستقيم الساق يمرق كالسهام
وخفيف العرف ، ضافى الذيل ، ضخم الردف ورقيق الأديم
لم يكن يعوزه شئٌ قد تحتم أن يجمّع فى جواد
غير شهم راكب ، من فوق شهم الظهر صاد .

٥١ وهو أحيانا يقارب* ، ممعنا فى البعد ثم يكف ، ثم يُحماقُ ؛
ثم ما أسرع ماهو مجفل من ريشةٍ إذ تمرق .
قد تهيأ يبتغى أن يتحدى الريح أن تدركه قولا ! فعالا
هل تُرى يعدو ؟ يطير ؟ إن أحداً ليس يدرى كى يقولا ؛
إذ خلال العرف والذيل تغنى الريحُ لحنا ،
فيطيرُ الشعرُ رفُّ جناح طير قد تسنى* .

٥٢ وهو ينظر نحو خلته يصهل صوبها ؛
فتجاوبهُ كمن عرفت كوامن ما يجول بفكره من حُبِّها :

يزدهيها ككل أنثى أن تراهُ خاطبا يتغزلُ

فتزيت ظاهريا بالغرابة لا تبـالى ، وتبدت نحوه قاسية لا تعـدلُ ،

فهى تلقى بالزِّراية حبهُ ، وهى تسخر من حرارة وجده

ثم تركل بالوظيف * (1) أرقَّ ما بذل المتيمُ من لواعج ودّه .

٥٣ ثم يمضى مثل منقبض * المزاج ناقم وحزين ،

يخفض الذيل الذى راح كساقطة من الريش المهين ،

فهى تحبو ردفه المحتر ظلاً باردا ،

ويدقُ الأرض ثم يعضُّ بالغضب الذبابَ الشّاردا ،

والحبيبةُ إذ رأت ما هاج فيه من غضب ،

خففت بعض الدلال فزال عنه بعض ما كان يلاقى من نصب .

٥٤ فيروح السيد الغضبان قُدماً يبتغى أخذ مقاده ،

لكن انظر !.. أبصرته المهرة الحرة * فامتلأت مخاوف من قياده ،

أشفقت أن يمسكوها .. فتخلت عنه لا تلوى على شىء إزاءه

والجواد يفرّ معها ، تاركا أدونيس مبهوتا وراءه ،..

وكأنى بهما من ثم مسّهما الجنون فأهرعا فى غابة قدلاتُشَقّ ،

(1) الوظيف : مستدق الذراع والساق من الخيل — والبيت يصف حركات القوائم وكأنما هى رفض للواعج الحب التى يبذلها الحصان .

يسبقان الوحش ، فالغربانُ أعياهنّ سبقُ ...!

٥٥ ثم يجلس أدونيس مستشيطا بالغضب ،
وهو يلعن فرسه الوغد الجموحا ذا الصخب ،
ثم ها قد أصبح الفصل السعيد مواتيا من كل فج ،
للهوى الملتاع أن يلقى الرضا جدلا بتأليف الحجج
إذ يقول العاشقون : القلب قد يُضنى بأضعاف مضاعفة ثلاثـا ،
حين يحرم أن يلاقى عند مقوله* [1] غياثا .

٥٦ فإذا انغلق الأتون ، وإذا النهر اعتُرض ،
ثار بالنيران أكثر ، ... وطما بالماء أفيض ،
هكذا ما قد يقال إزاء مكتوم الشجى ؛
فانطلاق الفم بالكلمات يخمد كل نار للهوى ؛
فمتى يُبهت محامى [2] القلب* لم ينبس كلامه ،
راح ينهار الموكل مفلسا ، قد هاضه اليأس عميقا فى قضيته المقامه .

٥٧ فإذا أبصرها قادمةً أنشأ فورا يتوهجْ
مثلما يحيا مَوات الفحم إذ ينفخه ريح مؤجّجْ ،

(١) مقول : هو اللسان .

(٢) محامى القلب : اللسان .

وبكمتهِ* [1] يغطي حاجباً جهما تضرّم بالغضب
ثم ينظر فى تراب الأرض والعقل كليلٌ مضطرب ،
وهو لا يلحظها إذ هى فى أدنى كثب ،
فهو لا يفتأ يرمقها بعين من لهب .

٥٨ ياله من مشهد يُرعى بلهفة شيق [2] !
كيف جاءت خلسةً نحو الغلام المارق !
من يراقب ما يدور من الصراع بلونها ، [3]
يشهد الأبيض والأحمرَ قد دمرّ بعضٌ بعضه فى جسمها
إذ بدا فى خدها آناً شحوب قد وضح ،
ثم لا تلبث نــارٌ أن تشب كمثل برق فى السماوات لمح .

٥٩ إنها تلقاهُ إذ ذاك فملا وهو جالس ،
وهى مثل مدلهٍ صبٍّ ذليل قد جثت بركوع يائس ؛
وبكف الحسن ترفع كمةً من فوق رأسهْ ،
كفُّها الأخرى الندية* تلمس الخد الأسيل جوىً بمسه ،
يتلقى خده الناعم بصماً من أناملها الرقيقه ،
مثلما ينطبع الثلج الجديد بأى لمسات دقيقه .

٦٠ ويح نفسى !.. أى حرب للملاحظ* عندها دارت رحَاها !!
أى عينين توسلتا لعينين تغزلتا وآها ! ...

(١) كمته : القلنسوة .
(٢) شيق : انه مشهد يجب ان يشاهده كل مشتاق .
(٣) لونها هنا يصف الشاعر تقلب الألوان فى وجهها بين حمرة وصفرة وشحوب وامتقاع

إذ رأت عيناه عينيها كما لم ترهما رأى المثلْ ،
واصلت ألحاظها غزلاً ولكن لحظةُ حقَّر الغزل
كلّ* هذا اللعب الصامت قد كان جليا من فعاله ،
وبدمع مثل جوقة كورس قد أمطرته عينها ، رهز جماله .

٦١ وهى فى رفق شديد تمسك الآن يده :
مثل سوسنة حوتها دارة من سجن ثلج موصدة ،
أو قطعة من خالص العاج يحيط بها بديع المرمر ،
فوكىُ [1] ناصع الزهره قد حاط عدوا ذى بياض زاهر !..
ذا صراع فاتن ما بين مرتغب ورافض رغبته ،
يتجلى مثل زوجين يماما من لجين شرعا فى لف منقارهما
فى نشوته .

٦٢ ثم عادت آلة الأفكار* فيها من جديد تعمل ،
« إيه يا أجمل ساع فوق هذا الكوكب الفانى ، لأنت الأجمل ،
كم وددت أن تكون كما أنا ، .. ولكم وددت أن أكون
أنا الرجل !...
أن يرى قلبى سليماً ومعافى - مثل قلبك ، ويرى جرحى
بقلبك بالبدل :
فى مقابل نظرة واحدة خلابة تسعفنى ، خذ ذاك عنى ،
مع هذا أنت لن يشفيك غير هلاك بدنى . »

(1) ولى : أى صديق .

٦٣ « أرجعى لى راحتى » قال لها : « ففيم تلمسها يداك ؟ »
فاجـابت « أعطنى قلبـى ! . . . وبذاك يصير ملكك . . .
لك ذاك !...
ويح نفسى أعطنيه ! . . . لا تدع قاسى فؤادك أن يبث
به الصلابة ،
فهو ان يصـلب فلن تقوى أرق الزفرات أن تؤثر فيه خدشا
أو إصـابة ،
بعد هذا لن أراعى أنة الحب العميقة ،
إذ ان قلبك أدونيس جعل قلبى صخرة غير شفيقه !..»

٦٤ وهو يصـرخ : «يا لعارى أتركينى واسمحى لى بالذهاب !..
ضاع منى متعة اليوم ، كما ذهب الحصان ولا إياب .
كان من خطئك أنى قد حرمت الآن منه ، يالحظى الأنكد ! ..
فاذهبى عنى نشدتك واتركينى ها هنا بمفردى !..
ان تفكيرى وعقلى مع شغلى والشجون ،
أن أردّ جوادىّ الغر من الفرس الخئون ! .. »

٦٥ فأجابت : « سترى الآن حصانك فاعلاً ماينبغى ،
إذ يرحب باقتراب دافىء من حلم رغبته البهى :
فالمحبة جمرة لا بد من تبريدها ،
إن تُدع تسعر وتذكو أجّجت فى القلب نارا ، أين من
إخمـادها .

إن للبحر حدودا ، بينما الرغبة إن عمقت فليس لها حدود ،
ليس من عجب إذن ، أن هكذا ولى الجواد . »

٦٦ « كم بدا مثل هجين *[1] وهو مغلول إلى الشجرة يجثو
من هوان
سامه الذل مهينا سير جلد من عنان ،
لكن انظر ! عندما شهد الحبيبة درة مجلوة لشبابه الغض
النضير ،
الحق الهون العظيم بمقود الرق الحقير ،
راميا شسع * المذلة عن ذؤابته [2] المدلاة الكريمة
حيث حرر ظهره ولبانه * [3] والفم من نير الشكيمة . »

٦٧ « من رأى حبته الحقة فى عارى * الفراش مثل زنبقة الرياض ،
وهى تضفى فى ملاءات الفراش صبغة أنصع من كل بياض ،
ثم إذ يقتات [4] بهرا لحظه المنهوم أقواتا أصيله
راح أجمع ما تبقى من جوارحه يدافع نحو متعات ولذات مثيله
أين * من كان ضعيفا وانيا ، ... من ليس يجسر أن
يجازف ، ... يتقاعس
أن يمس النار والجو شديد البرد قارس ؟ »

(١) الهجين : الجواد غير أصيل .
(٢) الذؤابة من كل شىء : أعلاه .
(٣) اللبان : مقدم صدره .
(٤) بهرا : بشدة بالغة .

٦٨ « فلتدعنى أمنح العذر جوادك ، أيها الولد الرقيق ! ،
وتعلم منه درساً ! . . قد نشدتك بفؤاد فى حريق ،
أن تُفيد مزية مما أقدم من مسرات سوانح ،
مع أنى كنت بكماء فإن فعاله لك خير ناصح :
آه ويحى ! قم تعلم كيف تهوى ، إن درسك جد واضح ،
ومتى أتممن يوما لن يزول من الجوارح . »

٦٩ قال : « إنى لست أدري ما الهوى ، كلا ولن أتعلمه ! . .
ذاك إلا أن يكون ذاك عفرا ،... ثم عندئذ أطارده بسهم ناقمه ،
ليس سهلا أن أعالج الاقتراض ولست أنوى أن أكون به مدينا ،
كل ما أهفو به نحو الهوى هو أن أجرعه الهوانا ،
ذاك أنى قد سمعت أنه عيش يكون فى الممات لذا التعس
وهو يُضحك وهو يُبكي فى مدى نفس النفس . . . »

٧٠ « أين من يلبس ثوبا غير مكتمل قبيح الهندمات * ؟
أين من يقطف زرّا قبل أن تنبثق أولى الورقات ؟
كل شيء نابت لو أنقصت منه قلامه ،
سوف يذوى وهو بعد بعنفوانه ، ... لن ترجى
بعد ذلك منه قيمه :
فالفلُوُّ (١) متى استذلَّ على الطفولة ، بالحمول والامتطاء
فهو لن يصلب إن شب ، ولن يغدو له من كبرياء ؛

(١) الفلو (بضم الفاء واللام وتشديد الواو) : الصغير من الخيل

٧١ « أنت تؤذين يدى باللّيّ ، هيّا نفترق ! . . .

فدعيه ذلك الرأى البليد جانبا ودعى هذا الهراء المختلق ،

وارفعى طوق حصارك عن فؤاد لا يلين ،

فهو تلقاء هجوم الحب لن يفتح باباً لحنين ،

فانبذى الأيمان ، والدمع الكذوب ، ثم تمليق الدهان بأى حرف

فهى إن كان الفؤاد جلمداً . . . لم ينَل من عزمه مهما رمت أفدح قصف . »

٧٢ فأجابت «ويك ماذا ؟ ! .. أنت تدرى ما الكلام ؟! هل وهبت لسان قول كى تقولا ؟!

آه ليتك لم يكن لك من لسان ! أوليتنى ما كان لى أذن لتسمعنى مقالا !..

إن صوتك صوت حوراء « البحار » قد دهانى مرتين ،

آنفا قد كان حملى مثقلا لكاهلى ، ثم أضحى فادحا للعاشقين ،

إنه لتنافر عذب رخيم ، ذلك اللحن السماوى الأجش الصارم ،

إيه موسيقى المسامع عذبة وعميقة ! : إيه يا جرح الفؤاد سرى عميقا يؤلم ! ...»

٧٣ « إننى لو لم تكن عينان لى بل أذنان ، « حيث الأذنان ضربة قاهر »

ذلك الحسن الخفيّ المتوارى عن عيون الناظر ،
أولو انى كنت صماء لحرّك كل جزء من جوارحك الظواهر
ألف مره

أى جارحة لدىّ بها من الإحساس ذره
مع أنى لو حرمت العين والأذن معا ، كى لا أرى وأسمعا
غصمت فى شرك الغرام صريعة باللمس والحس معا . »

. . .

٧٤ هب ! تخلت عن بنانى لحظة حاسة لمسى
هب ! حرمت السمع والإبصار واللمس بحسى
هبه لم يبق لدى غير حس الشم وحده ،
إن حبى مع هذا سوف يبقى لك وحده
إذ من مجاجة عطر وجهك ومحيّاك الجميل الفائق
تخرج الأنفاس عاطرة تغـذى الحب بالأرج الرقيق
العابق »

٧٥ « ويح نفسى ! أى مادية جعلت للمذاق الرائع !...
كنت مرضعةً ومطعمةً لباقى الأربع !
هل تراهم ليس يرجون الوليمة أن تدوم إلى الأبدْ ؟
يأمـرون « الشك » أن يغلق باب الحفل مثنى مرتين بكل جدْ
خوف أن « الغيرة » الضيف المرير المبغضا ،
يتسللها الخفى إلى الوليمة تزعج الحفل الجميل المرتضى »

٧٦ ثم ثانيةً تفتّح باب ياقوت بديع ،
راح عند حديثه ينهال بالأقداح من شهد الربيع ،
مثل صبح أحمر حمرته يا طالما قد أعلنت
بالتّحطم للسفين والعواصف للحقول ، وآذنت ،
بالشجون لكل راع ، والثبور إلى الطيور في المقيلْ
والسيول والرياح الهوج للقطعان ولراعي الرعيل .

٧٧ وهي تلحظ بالروية فأل هاتيك النّذُر
إذ مثلما قد تصمت الأرياح من قبل المطر،
أو مثلما يبتسم الذيب إذا الذيب تهيا للعواء ،
مثلما تنفجر الثمرة إنذارا بتلويث الوعاء ،
أو كمثل قذيفة مهلكة من مدفع تمضي مضيا ،
صدّمها معناه حتى قبل أن ينطق بالقول مليا .

٧٨ حين نظر نحوها خرت على الوجه مكبةْ ،
نظرة قد تقتل الحب ، ونظرات تعيد عرى المحبة
بسمة تشفي جراحات العبوس ،
غير أن المفلس المحظوظ من يثْرَي ثراء بالهوى في غير بؤس
والغلام الغر إذ ظن الكريمة فارقت هذى الحياة ،
راح يصفق[1] شاحب الوجنات حتى صارتا ورديتين كشأن
مرجان الشفاة !

(١) اى ظل يضرب بها على وجنتيها لتصطفق .

٧٩ واستبد به الذّهول فراح يكبح نفسه عما انتواه مؤخرا
إذ جرى فى خلده فعلا بأن يشتد فى تأنيبها متنمرا
وهو أمر حال مكر الحب دون حدوثه بذكاء فطنه*
يالها من فطنة أبلت بلاء رائعاً ذوداً عن النفس وقد
وقعت بمحنه

هكذا ترقد فوق العشب كوماً كالذبيحة أو تزيد ،
وإلى أن نفخت أنفاسه ريح الحياة تدب فيها من جديد

٨٠ فهو يلوى أنفها ، آناً ويضرب خدها فى غير عنف ،
لاينى يثنى أصابعها : يجس النبض فى قلق ولهف ،
وهو يدلك ثغرها فى الشفتين ، وهو ينشد فى الوسائل
ألسف ألسف

يبتغى يصلح ما قد أفسدته لها فظاظته بعنف :
وهو يلثمها ، فتعمد بالارادة والمراد ،
لن تقوم كى يقبل ثغرها حتى المعاد* (١) *

٨١ ليلة الأحزان ها هى ذى وقد حالت نهارا :
ترفع اللحظين نافذتين زرقاوين وهْناً وفتورا ،
شأن شمس الحسن فى إشراقها النّادى النضير
إذ تحيىّ الصبح ، تجلو الأرض ، تمنحها من الرّوْح* (٢)
الكثيـــر ،

---

(١) المعاد : يوم القيامة

(٢) الروح ، بتسكين الواو : الراحة والسرور .

ومثلما الشمس الوضيئة تملأ الأجواء أضواء ومجدًا
فكذلك وجهها إذ يستضىء بلحظها نورا ووقدا

٨٢ إذ أشعته الجميلة ركزت فى وجهه الحلو الوضىء الأمرد
فكأنما من ثم تقبس ما لديها من سطوع عن يد ،
حيث لم يسبق لأربعة مصابيح معاً أن تجمعا ،

ذاك لولا أن عينيه تربدتا بكدر ران فوق الحاجبين له معا
لكن انظر ! .. إن عينيها اللتين ترسلان الضوء ينفذ وسط بلور الدموع
قد أضاءت مثل وجه البدر فى ماء يرى بالليل وهاج السطوع

٨٣ قالت الزهراء « أين أنا ؟ أفى الأرضين ؟ أم فى جنة الخلد المقيم غارقة ؟
فى خضم الماء ؟ فى موج المحيط ؟ أو بنيران الجحيم الحارقة
أى ساعات النهار هذه ؟ فى الصباح ؟ فى المساء المرهق ؟
هل ترى يبهجنى أنى أموت ؟ أم ترى أبغى الحياة ؟ ومن بقى ؟ !
بيد أنى الآن أحيا ، والحياة هى المنغص للممات
غير أنى الآن ميت ، ... ثم كان الموت جذلا طافحا بجميع أسباب الحياة »

٨٤ « آه ! .. ها قتلتنى فلتقتلنى من جديد ! ..

فوراء الفعل من عينيك أستاذ هو القلب الشديد
علّم الأعينَ حيَلا ساخرات ، وحباها من صنوف
الازدراء دواهيا ،

وبذا قضتنا عليه : قلبى العانى الضعيف الوانيا ،
إنما عيناى هاتان اللتان هما الدليل إلى المليكة ترشدان ،
« لولا ماتريان من شفتيك باعثة اللواعج [1] ، لم يكن
فى الكون شىء تريان

٨٥ « ليتها تلثم إحداها طويلا أختها رغبة فى ذا الشفاء
لا تدع ثوبهما القانى بلون الكرز يطويه « الفناء !
ما دامتا ياليت تبقى نضرة الميْعة لهما فى دوام ،
ذاك كيما تُطرد العدوى « من السنة الوبيئة بالسقام !
كى يروح راصدو النجم – وقد سطروا على الناس المنيةْ
فيقولوا أذهبَ الطاعون عنا فيض أنفاسك ذفراء [2] شذيةْ »

٨٦ « شفتاك العذبتان ، خاتما الشهد ، إذا طبعت على شفتىَّ
تمثال النعومةْ ،
أى صفقات سأعقد كى تزالا تطبعان إلى القيامهْ
إننى أرضىَ ببيع النفس ، أشعر بالرضاء ،
كى يهيأ لك أن تشرى وتدفع ، وتقيم تعاملا ، سهل القضاء

(١) اللواعج : من لعج الحب والشوق فؤاده اى اصتحر فيه .
(٢) ذفراء : العطر الأذفر الجميل القوى

وهى شروات إذا قمت بها من خشية الزلات فورا
فضع البصمة من خاتمك من فوق شفاهى قانيات الشمع
حمرا »

٨٧ « ألف قبلات حسان تشترى قلبى المُعنَّى من يديا ،
واجعل الدفع بميسرة : قبلة فى إثر أخرى لو تهيا
ما تكون ... ألف واحدة من اللمسات عندك ،
قل أما تترى سريعا ؟ ثم لا تلبث أن تمضى سريعا قل بجدك .. !
• ثم قدِّر أن عدم الدفع يسفر عن مضاعفة الديون
هل ترى عشرين مائة من لقاءات الشفاه مُشكلا يضرى[1]
الشجون ؟ »

٨٨ « ملكتى الحسناء » قال لها : « إذا حُمِّلت نحوى أى حب
أو سعير * ،
فلتقيسى ببرودى أن عمرى لغرير[2]
قبل أن أعرف نفسى ، أجنِّبى أن تعرفينى كطرير[3]
فحصيف الصائدين يرد للجة ما يصطاد من سمك صغير ،
يسقط الثمر الجنى ، والثمار الخضر تبقى حيث لا تنتزع ،
فإذا اقتطعت بدارا ، فالحموضة طعمها المتجرَّع .»

(١) يضرى اى : يهيج .
(٢) الغرير : الغر الأحمر .
(٣) الطرير : ذو المنظر والرواء والهيئة الحسنة

٨٩ «أنظري هـا جالبُ « الراحات »[١] فى الدنيا ، يغادرنا بخطوات لغوب «

عمله الساخن ، أثنا يومها[٢] ذاك ، انتهى عند الغـروب ،

يصرخُ البومُ نذير الليل «إن الوقت فعلا قد تأخر ،

للحظائر ولّتْ الشّاء ـ وآوت للعشوش الطير تبغى تتوكر «

والغمام الفاحم اللون الذي راح يغشّى وجه أضواء السمـاء

راح يدعو للتفرق بيننا ، وبأنه قد آن تقديم تحيات المساء »

٩٠ «حان أن يؤذن لى أنّى أقول «عمى مساء » » ! ثم قولى أنت أيضا ،

أنت إما قلتها ، تجزين قبلة راحل ثمنا وعوضا ،

ثَم قالت : «عم مساء ! » إنما من قبل أن قال «وداعا » :

ثم هم بالسُّرَى «

كان أجر فراقه المبذول شُهدا قد جرى !

فلقد لفّت ذراعيها على العنق ، وأعطته عناقا مستطابا

مشبعـا ،

فبدا الجسمان مندمجين « والوجهان قد نبعا مَعًا .

٩١ إذ تمكن لاهثا من أن يخلص نفسه ، يسحب للخلف قليلا

ذا النّدى الرطب السماوى ، فم المرجان عذبا سلسبيلا ،

مَنهلُ الطعم الرحيقىّ الذى عَرفت مذاقته مراشفها العطاش

(١) جالب الراحات : رب الشمس .

(٢) اثنا يومها : أى اثناء (بحذف الهمزة)

الذى بشممت * به ، لكنما مع ذاك تشكو الجدب تفتقد الرشاش
هو بما ملكت من الخير يضيق وهى مرهقة كأنضاء * المجاعه ،
قد تلاصقت الشفاه فيهويان إلى التراب ولا شفاعة ،

٩٢ عند ذلك تمسك الرغبةُ جامحةً تلابيب الفريسة مذعنة ،
ثم تأكل أكل منهوم وأين لها امتلاء عند تلك الآونة :
شفتاها فاتحٌ غاز ، وشفتاه تطيعان خُضُوعا
تدفعان لذلك العادى بما هو يبتغى من فدية تجبى انتزاعا ،
فيحلق * فكره تحليق نسْر فى اقتضاء السعر ضخما عاليا
فهى ترشف كنز شفتيه الثمين لكى يجف ، يصير حطبا
ذاويـاً :

٩٣ فإذا شعرت بما حوت الغنيمة من حلاوة
أقبلت فى حدة عمياء تلهم فى ضراوة ،
صاعـدٌ من وجهها سحب الدخان والبخار ، دمها الفوار يغلى
فى العِروق لهيب نار
ويثير الشبق الأرعن فيها جرأة اليائس تفضى للدمار ،
تغـرس النسيان بذراً ، تدفع العقل الحكيم إلى الوراء ،
تتناسى حمرة الخجل الطّهور ، والدمار إذا اعترى الشرف الوضىء

٩٤ وهو حران ضعيف مجهد، إثر ما قاساه منها من عناق كالنآدِ * [١]
مثل ضارى الطير روَّضهُ التداول فى الأَيادى ..
أو كظبى مسرع السيقان أعياه الطِّرادْ ،
أو كطفل شكس قد أسكتوه بالدعابة والودادْ
فهو حينا قد يطيع ، .. ثم حينا لا يقاوم لا يريم ،
وهى تأخذ كل ما قد تستطيع وليس كل ما تروم .

٩٥ أى شمع مثلج لم ينصهر تحت العلاج *
ثم يخضع فى النهاية لأخف الضغط من صاحب حاج !
ربما أشرف بالمرء على ما بعد فى المأمول شئٌ من خطار *
خاصة فى الحب ، حيث سماحه قد بز تفويضا يعار
فالمحبة لا تخور * مثل فسل [٢] شاحب الوجه جبان ،
بل تسوق الغزل أحسنه، متى ما كان دأب المجتبى محض الحِران [٣]

٩٦ عندما عبّس ، ويْحى إنها لو عند ذلك أقلعت عنه اشتفافا *
لرحيق مثل هذا من مراشفه لما وفته نهلا وارتشافا [٤]
فالكلام المر و التعبيس ليس يجوز أنهما يردان محبا والها
رغم شوك الورد يقطف كارها .

---

(١) النآد : الداهية الفادحة .
(٢) الفسل : الرجل الرذل الجبان .
(٣) الحران ، أى : عندما يكون دأب الحبيب المنتقى الحران والمعاندة
(٤) ارتشفا ما فى الإناء – تقصاه شربا

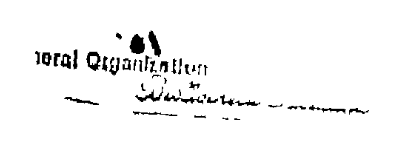
لو حبسنا الحسن في عشرين قفلا صامداً
لاستطاع الحب أن يفتضها ويلمُّها متغلبا متعمدا .

٩٧ وهي إشفاقــا عليه لم تعد تستطيع بعد الآن قطعا منعه ،
فالغريرُ الأحمق المسكين يرجوها بان لابد أن يرحل – وسمعه
عقدت نيتها ألا تواصل منعه ، من بعد ذا ، . وعلام تمنعه
عــلام ؟
« ودعته الخير ورجته بأن ينظر بالخير لقلب مستهام ،
وهو قلب أقسمت تحتج فيه بقوس كيوبيد الصؤول
وهو يحمله هناك يضمُّه في صدره الغض الخجول .

٩٨ « أيها الولد الجميل ! » – ثمَّ قالت – « هذه الليلة أقضيها
بحزن وشجن
قلبي المقروح يأمر مقلتيَّ لتسهرا دون وهن
فأنذني سيد الحب – أتلقاني غدا ؟
« قل ! فأوضح ! ، نلتقي ؟ هل نلتقي .. ؟ هل ترى في
صفقة الحب معي أن تُعقدا ؟ »
وهو يبلغها بأن « لا » ، فهو ينوي في غد؟
أن يصيد العفر « في طائفة من خلصاء خرَّد [1]

٩٩ قالت « العفر » ... ؟ ويفجؤها كساء من شحوب غــامر

(١) أخرد الرجل : مال إلى اللهو وهم خرد .



skynet-dvb.com

كالشفيف من النسيج إذا ترقرق فوق ورد ناضر
جساء مغتصبا لخديها ،فارعدها بما قد راح يروى من حكاية ،
ثم ألقت بذراعيها تحيط بعنقه نيرا تحف به العناية
وهى تتهاوى إلى الأرض على العنق
وهو فوق بطنها يهوى عليها ، ..وهى فوق الظهر تستلقى

١٠٠ ها هى الآن تخوض حلبة الحب الضروس ،
وامتطى فارسها الصهوة أهبا * للقاء العارم الحامى الوطيس
وإذا هى تتحقق : كل شىء هو خيال فى خيال ،
هو لن يرتادها ، مهما يكن راكبها ، ياللخبال !!
إنها تلقى العذاب مبرحا ، أنكى كثيرا من تعذب
تانتالـوس*
حيث حُرمت كل متعتها وقد ضمت بزنديها مباهج جنـة
الفردوس*

١٠١ وهى شأن كل طير بائس قد خدعته صورة للعنب
تملأ الأمعاء بالعين تغذي الجوف منها من أليم السغب*
وعلى نفس الغرار قد وهت بين الرزايا والعبر ،
مثل تلك الطير لما أن رأت ما لايفيد من الثمر ،
فالشعور الدافىء الحق الذى وجدته يعوزه ،..وأعيتها الحيل ،
حاولت كذا ، لتشغله بموصول القبل .

١٠٢ كل شيء كان عبثا ، يا مليكتنا الكريمة ،.. إن شيئا ان يكونا :
إنها قد حاولت إقناعه فى جهد ما وسعته لم تترك بيننا ،
ويحها ! كم جادلته بحجاج كان أحرى ، أجرهُ أن كان أكبر !
« إنها الحب » ،.. إنها لتحب ،... مع هذا فهى لا تحظى
بحب ، والهوى ليس بمنكر
« ويك ! ويك ! » صاح فيها « قد تُحققت فاتركينى !..
مالديك الحق فى أن تحجزينى »

١٠٣ قالت الحسناء « إنك قد ذهبت قبل هذا ، أيها الولد الجميل ،
بيد أنك لم تقل لى أن ستنوى صيد ذا العفـر الوبيل . .
آه منه ، ! فانتصح ! إذ لست تدرى ماهو؟! . . لايؤمن
إن فيه سنان رمح وهو خنزير غليظ البأس إما يطعن
كاشراً عن عوج أنياب ليشحذها كأطراف الشبا إذ يفغر
شأن جزار يحب القتل صمم ينحر !... »

١٠٤ « وله فى ظهره الأحدب شكة [1] معركة
إن فيه شعرات كالأسنة منذرات خصمه بالتهلكة
تلمـع العينان منه كالحُباحب * [2] ، حين يوعد غاضبا
تحفر الفنطيسة * [3] الأجداثَ [4] أيان تولى ذاهبا

(١) الشكة ، بكسر الشين : مايحمل أويلبس من السلاح .
(٢) الحباحب ، بضم الحاء : حشرة مضيئة .
(٣) الفنطيسة : بوز الحيوان الكاسر .
(٤) الأجداث : القبور .

إن أثير أصاب بالضربات ماشيء يراه فى طريقة قدبدا
من أصاب بضربة من عوج نابيه يحيقُ به الرَّدى . »

١٠٥ «جانباه القاسيان بأصلب الشعرات نصلا مُسلَّحا ،
فيهما درع أشد صلابة مما يطيق سنان رمحكَ أن يشق ،
ويسرحا ،
عنقه الضخم القصيرُ الأغلب[1] ،... ليس إنزال الأذى فيه
من الأمر اليسير
فهو إن أحنق ،جد ينازلُ الأسدَ الهصور !
ويح عُلَيْق بأغصان شوائك أو شجيرات نمت متعانقة ،
إنهـا لكأنها تخشاه ، . تفترق .. فيمرق عاجلا كالصاعقة

١٠٦ «يا لأسفى ! إنه ليس يقدِّر ما تبدى من محاسن طلعتك
التى بذلت لها عين الهوى النظرات رمزاً للخضوع لطاعتك
لا ، ولا غض يديك وناعم الشفتين والعينين كالبلورتين
التى يذهل ما أودع فيها من كمال، عقل دنياذاو عقل النيرين *
لكن إذ هو منك أرجح كفَّة ، . ــ ذلك الرعب الرهيب ! .
سوف يهلكك ، .. يحفرّ ذي المحاسن شأنه حين يحفرّ
فى ثرى المرج الخصيب

(١) الأغلب: الغليظ العنق

١٠٧ «آه ! دعه يحتفظ فى غاره الممقوت دوماً بالسكون !
أى صلة للجمال العذب تربطه بشيطان لعين ؟
ويلك حاذر من دنو من مجال عرامه بإرادتك »...
إن من يرجون نجحاً باهراً يستلهمون النصح من خلصائهم ،
والرأى لك
أنت حين ذكرت لى اسم العفر ، لما تخف شيئا ،
قد بعثت الرعب فى قلبى عليك ، ثم أرعشت فرائص ركبتيا

١٠٨ «أو لم تلحظ محيّاى ؟ ألم يمعن شحوبًا ؟
أو لم تشهد بعينى ظاهرات الخوف تضطرب اضطرابا ؟
أو لم يظهر بأوصالى الوهى • فخررت من فورى مغشيا عليّا ؟
راح فى صدرى الذى تفترش الآن مليا
قلبى المتوجس الشرَّ يدق ، يدق ، يلهث لا يقر له قرار ،
بل يهزك فوق صدرى مثل زلزلة الدمار .»

١٠٩ «إذ حيث للحب الولاية ، تنبرى الغيرة • » مزعجة القلوب
تدعى كالديدبان أنها حرس العواطف والوجيب • .
ينذر النذر الكواذب ويحث على التمرد والعصاة [١]
ثم يصرخ ساعة السلم بأن « هيا • اقتلوا ! .. ثم اقتلوا
فصل الإيساة »

---

(١) العصاة ، بفتح العين : العصيان .

مفسداً لنبيل طبع الحب فى رغبته والاشتهاء ،
مثلما يخمد وهج النار ماء وهواء . »

١١٠ « إن هذا الواشى المر ، وذا الجاسوس أصل الشر فى كل زمن
ذلك الدود الذى قد راح يلهم برعم الحب اللدن ،
وهو تلك « الغيرة » النمامة النكراء ،
التى تحمل نبأ صادقا حينا ، وحينا أكذب الأنباء ،
تعترى قلبى بالدق وتهمس فى الأذن ؛
إننى لو كنت أهواك خشيت عليك شر الموت عادية المحن . »

١١١ فوق هذا جاء يحمل لى رأى العين مرأى واضحا
صورة هولى لعفر يتبدى غاضباً وجارحاً ،
مرقدا من تحت أظفار وأنياب حداد كالحات ،
صورة مثلك غطتها الدماء القانيات
سال منها الدم منسكبا فَضرَّجتْ الزهور الناضرة
ذهب الحزن بنضرتها ، قد لُّيت الرؤوس حاسرة »

١١٢ « ما الذى يجدر بى ، وأنا أراك هكذا ، أن أفعلا ؟
وأنا أرتاع يرعشنى التخيل قاتلاً ؟
محض تفكيرى يجعل قلبى الواهى يدمى

بينما الخوف يعلمه التنبؤ بالذى سيكون حتما
قد تنبــأت بموتك ، أنت أشجانى التى فى الأرض تسمى
إن تقدمت غدا للقاء ذاك العفر – قطعا »

١١٣ « لكن إن أصررت على الصيد فخذ نصحى وفكرى ،
أطلق الكلب على الأرنب رعديدا فيجرى ،
أو على الثعلب إذ يحيى على المكر رواغا واختفاء ،
أو على الظبى الذى لا يستطيع بحلبة الهيجا لقاء ،
والجبانَ الفسل من هذى الخلائق فلتطاردْ فى التلال وفى الحــزون [1]
ثم لازم بجوادك جيدِ الأنفاس* يصحب جريه الكلب الأمين

١١٤ « فإذا أنت على السيقان هجت الأرنب المذعور ذا البصر الكلــيل * ،
راع ذا المسكين كيف يروح كى يجتاز مأزقه الوبيل ،
يسبق الريح ويعمد جاهدا شأن الحريص
أن يعرج فجأة أو أن يجوز « بألف ساق لا محيص ،
والفجاء [2] الكثر فى السوج * [3] التى يمرق فيها ،
أشبهت « دارا لتيه » بلبلت أعداءه من سالكيها . »

(١) حزن المكان : خشن وغلظ .

(٢) الفجاء ، جمع فجوة .

(٣) السوج ، جمع سياج .

١١٥ «فهو يجرى تارة بين قطيع من غنم ،
كى تضل كلابك المكرة ، يخطئها النسم[١] *
وهو حينا قابع ما بين مزدحم الأرانب فى حفائرها بأكناف الربى
كى يصدَّ مطـارديه اللجب * عن صيحاتهم ذات الصدى ،
وهو فى الأحيان مختلط بسرب من ظباء ،
فالمخـاطر تنبت الحيل الذكية ، والمخاوف رهن خدمتها
الذكـاء .»

١١٦ «إذ هنالك حيث تخلط ريحه بالآخرين ،
فالكلاب عتيـة الشم تضل بين شبهات من الشك المبين
فتكف صياحها الداوى حتى تفردا *
فى كثير من هياج ذلك الريح * الضعيف المفردا ،
ثم تطلق من حناجرها الصياح يجيبه داوى صداه
* فكأنى بطراد آخر ينساب فى أعلى سماه .»

١١٧ «عند ذلك ، يا لهـذا الأرنب المسكين يرقب من بعيد ،
فوق تل ،
وعلى خلفيتيه واقفا يرهف سمعا مرهفا ليس يضل ،
مصغيا يسمع هل مازال أعداء له يتعقبون ،
ثم لا يلبس أن يصغى لصيحة حربهم إذ يهطعون *

(١) النسم : التشمم بالأنف .

عند ذا يغدو أساه كالعذاب المستطير ،
كمريض مدنف يصغى إلى « جرس المودّع إذ يسير »

١١٨ « وهنالك كنت تشهد ذلك التعس الملطخ بالندى مثل الغريق
وهو يذهب ثم يغدو حائدا ومعرجا وفق الطريق ،
كل مضطغن « [1] من الأشواك يدمى قدمه اللغب « الضعيف
أى ظلٌ مبطلٌ حركته ، ... أى دمدمة كأمر بالوقوف
جلٌ أهل الأرض يطأون التعاسة والشقاء ، [2]
والوضيع يهون حتى عز من ينجيه من هول البلاء . »

١١٩ « قرّجنبى بهدوء ! ، واستمع منى المزيدا ! ،
لا وكلا ! ... لاتكافح ...... لن تقوما .. ! ولن تعودا ...
إننى كيما أبغّض صيدٌ ذا العفر المريد
فعلى عكس طباعى أنت تسمعنى أقدم صفوة الأخلاق فى درس
عتيد ،
فأُطبق ذا على ذاك ، وهذا فوق هذا ، لايُداخلنى أفن « ، [3]
يستطيع الحب تعقيباً على كل المحن . »

١٢٠ « يا تُرى أين وقفتُ ؟ » قال : « لايعنيك أينْ !
فاتركينى ، ... تنته القصةُ فى أنسب زين

(١) مضطغن « شبه الأشواك بالحاقد ، والضغن : الحقد .
(٢) التعاسة والشقاء ، أى : التعساء والأشقياء .
(٣) الأفن : فساد العقل .

« قــد مضى الليل . » فسألته « وما فى ذاك ؟ ، هل هذا يضمير السعيــدا ؟ ! »

قال : « إنى ضارب مع أصدقائى موعدا

سادت الظلمةُ إنى ان مضيت فقد أقع . »

فستجابت « تبصر الرغبة [1] ليلاً ، فوق ما تبصرُ فى أى زمــان متسع

١٢١ « « غير أنك إن سقطت ، فويح نفسى ! فتصور أن جرى هذه الأرض وقد وقعت بحبك تجعل الخطوات تكبو فى الثرى

كل ذلك ترتضيه لكى تخالس منك قبله

هكــذا شفتاك كالسلب [2] « النفيسة تجعل الرجل المنزه سارقاً وبأى علة

وهى تجعل من ديانا [3] « ربة الطهر الحيية نضو [4] هم وشقاء من مخافة أن تخالس قبلة منــك وتقضى نحبها ، حنثت بأيمان العفيفة والوفاء »

١٢٢ « إننى الآن بداجى الليل أدركت لماذا ؟

غللت* سنثاء فى خزى وعار ألقها النفاذا ،

(١) الرغبة : الشهوة .

(٢) السلب ، هى : الأسلاب .

(٣) كانت لديانا وهى ربة القمر اشكال ثلاثة ، فهى فى الأرض ديانا وفى السماء سنثيا (سنثاء) وفى العالم السفلى هيكات .

(٤) النضو : الهزيل من الهم

كي توجه «للطبيعة» مصدر التزييف شنعات الخيانه ،
حيث سرقت من سماء الكون أشكالا مقدسة * المكانة
أفرغت شكلك فيها ،... امتهانا للسموات وبيلا ،
تخجل الشمس نهاراً ثم تخزى وجهها * الليل الطريلا »

١٢٣ من هنا راحت تقدم رشوة نحو القدر
كي يهجن للطبيعة بدع صنعتها العجيب المبتكر
كي يخالط بين بدع الحسن ووبيل النقائص والوهن ،
والكمال المطلق الصافى بتشويه الدمامة فى السحن،
جاعلا منها أسيراً خاضعا للجبروت
الذى يحويه مجنون البلايا وكثير من شقاء لا يموت

١٢٤ مثل حارقة من الحمى ورعشات الشحوب والوهن ،
مثل أوبئة يسممن الحياة ،- مثل لوثات [1] قددن من الأفن
كالسقام الناخر العظم الذى عدواه ضر لا يريم [2]
يفرخ الأوصاب [3] * إذ يغلى بكل دم كريم
بله تخم وبثور وجوى الأحزان والباس اللعين
أقسمت جمعا على قتل « الطبيعة » حيث صاغتك من الحسن
المبيـــن

(١) لوثة : الجنون .
(٢) لايريم : لايتزحزح .
(٣) الأوصاب : الأمراض .

١٢٥ « ليس أدنى هذه الأسقام شأنا
غير ما يتخذ الحسن وبعد قتال ثانيتين ، رهنا *
كـل ما يحويه من سيما المحيا من متاع من صباغ بل وحتى
من سجايا
والتى بهرت بها عينا المحـايد حين شاهدها أخيراً حيث
أعجب بالصفايا
كيف ذابت فجأة وتدمّرت وتولت
مثلما شمس الظهيرة قد تذيب ثلج جبل فى أعالى القمة »

١٢٦ « من هنا رغم « عفاف » مجدب * ما أن أفادا ،
كعذارى النـار * قد أعوزن حبا والبنات الراهبات تخـذن
عشق الذات زادا ،
إن ذا فى الأرض يثمر ندرة ، نقصا عميماً
جالبا فى البنت والولد المرجّى قلة ، جدبا عقيما
كن سخيا ! .. إن مصباحاً إذا يوقد ليلا
فهو لا يألو يجفف زيته كيما يُعير الكون نورا ليس يبلى »

١٢٧ « أى شىء ، هو جسمك غير جدث مبتلع ،
قد تهيأ ليوارى ذلك النسل الذى قد يمتنع
لذى لا بد أن تملكه أخذا بأحكام الزمن
ذلك إن لم تقترف تدميره فى ستر ظلمات الغموض والدجن

إن كذا تقدم فإن الكون يمنحك احتقاره ،
حيث أمل رائع في كبريائك ثَمّ قد لاقى دماره »

١٢٨ « هكذا تصبح فى نفسك نفس منك فنيت ان تعودا !
وهو شر جاء أنكى موقعا ممن بحرب الأهل قد رفعوا البنودا ،
أو كمن مدّ يد اليأس لقتل النفس فى غير ضمير ،
أو كسفاح غشوم جد يحرم ولده نعمى الحياة ولا مجير
يأكل الصدأ الكريه روائع الكنز الدفين
بيد أن الذهب إن يستعملوه يجلب الموفور من ذهب ثمين . »

١٢٩ قال أدنى : « لا ، إذن فلا سوف تترددين ثانية بلا أدنى جدال
فى مهاوى نفس فكرتك البليدة ، ذات أقصى الابتذال
إن قبلتنى التى أعطيتها لك ، أعطيت فى غير جدوى ،
ثم لاجدوى لما تأتين من جهد بضدّ النهر ، والتيار أقوى ،
إذ – وهذى الليلة الظلماء مرضعة الخنا* [1] والشهوة السكرى الدميمة
يقتضينى جدلك المكروه ميلاً لك يزداد على الأيام بغضاً وسخيمة* [2] » .

(١) الخنا : الفسوق .
(٢) سخيمة : حقد

١٣٠ « فإذا كان لهوى أعطى لك الآلاف من ذرب اللسان ،
وحبا كل لسان ما يفوق ما لديك فى الفصاحة والبيان ،
ساحرا اللب كالأنغام تصدرها عروس البحر خلّب ما جنات ،
سوف ينبذ مسمعى تلك اللحون المغريات
فاعزفيها إن قلبى واقف شاكى السلاح فى الأذن ،
لن يمكن « نأمة [1] زائفة أن تلج فيها تطمئن »

١٣١ « ولكيلا يستطيع الانسجام [2] الخادع المحتال يجرى
في الحنايا الساجيات [3] الروع من أعماق صدرى
وبذا يقضى قضاء مبرما حقا على قلبى الصغير
وهو ثاو فى طوايا * خدره [4] إذ يحرم الراّحة * ورخىّ القرار.
سِت * [5] ! كلا ثم كلا ! إن قلبى لا يحن إلى الأنين
بل ينام يغط فى نوم عميق – إذ ينام الآن منفرداً بلا
أدنى حنيـن »

١٣٢ « أى شىء فيه حاورت ولم أسطع له تفنيداً ؟
فالسبيل المنتهى للخطر سلس ، أوتيت تمهيداً

---

(١) نأمة : أضعف الأصوات .
(٢) الانسجام : النغم الموسيقى .
(٣) الساجيات الروع : الساكنات النفس والبال (بضم الراء) .
(٤) خدرة : غرفة نومه .
(٥) ست ، بكسر السين : سيدتى .

« لست من كره الهوى ».... لا بل سبيلك فى الهوى
إذ يعير عناقه كل غريب قد ثوى
تبتغين به التكاثر !.. أى عذر ملتمس ! ! ؟
عندما يغدو الحجى القواد يخدم فى شهوتك الدنس !!»

١٣٣ « لا تسمّى ذاك حبا ! .. هرب الحب لأجواز السماء
غصبته الشهوة النكراء فى الأرض أسمه السالى الضياء ،
تحت مظهره البرئ قد تغذت كطعام
بالجمال الغض منزلةً بــــه وصمم المعـرة والمـــلام ،
للذى تدنسه الطاغية الحرّى وتحرمه سريعاً من وجوده
كاليساريع* أتت فوراً على الأوراق لينة جديدة »

١٣٤ « يهبُ الحب الجمام والارتياح ، .. كطلوع الشمس فى غبِّ المطر ،
بينما الشهوة كالاعصار بعد الشمس وضياء بَهَرْ ،
وربيع الحب نضرته تظل على الدوام
وشتاء الشهوة النكراء يأتى قبل أن يمتد بالصيف المقـام
لا يصاب « الحب » يوما باكتظاظ التخمة ، بينما الشـهوة
كالمنهوم تفنى وتموت
شكّلُ « الحب » من الصدق المبين بينما الشهوة تزييف مقيت »

١٣٥ «قد أزيدُ السرد بسطاً ، بيد أنى لست أجرؤ أن أزيدك من مقالى ،
خطبةٌ .» جاءت على نص قديم ، والخطيب قليل علم بالصيال
وعلى هذا سأمضى فى شقاء وشجن
إن وجهى قد تجلل بالخجل ،.. إن قلبى قد تملأَّ بالحزَن
إن آذانى التى أصغت لصوت منك فى قول خليع مستهين
إنما تحرق فعلاً نفسها إذ وقعت فى ذلك الاثم اللعين»

١٣٦ عند ذلك يتخلص من عُرى الحضن الجميل
مُفلتاً من بين تلك الأذرع البضّــة قد ضمته للصدر النحيل ،
ومضــى يجرى إلى المنزل بين مزوج عشب فى الظلام مهطعاً
يترك «الحب» قــد استلقى على الظهر كئيبا موجعــاً
كيف يَهوى النيزك الوهاج من عليا السماء ؟
هكذا بصرت به عينا فِنــوسٍ مارقاً منها يشق الليلة الظلماء

١٣٧ فانبرت فى اثره تمرق ، تعدو ، مثل من بالشط يجرى
إذ يرى خلاً كريماً أنزلته سفينة والليل يسرى ،
دام حتى لقّفتــهُ ضاريات . الموج مايدرى امرؤ أيــان ولّى
وهى تدفع للسما حافاتها فتصارع المزن [1] المدلّى
هكذا فعلت بها قسوة تلك الليلة الظلماء مثل القار
حيث لفت فى طواياها غذاء العين عن غير انتظار

(١) المزن : السحاب .

١٣٨ ثم راحت فى ذهول مثل من عن غير قصد متعمد
سقطت من يده جوهرةٌ فى النهر والفيض يمد
أو كمن قد ســار يمضى فى ارتباك كمسيرة خابطى الليـل
البهيـم ،
أطفئت أنوارهم فى غابة مشبوهة * السمت ودهماء * الأديم
هكذا رقـدت ذهولا وارتباكاً فى سكون الليل يكسوها الظلام
حيث فقدت الاكتشاف * الحلو لطريق السلام

١٣٩ ثم ها هى ذى تصك فؤادها صَكاً يئن له الفؤاد
بأنين يزعج الجيران فى التجويف من بين الحنايا أو يكاد
فتداعت ، .. كررت رَنّات ذياك الأنين
إن وجداً * فوق وجد ضاعفت تعميق أغوار الحنين
وهى تصـرخ ؛: ويح نفسى ! ثم عشرينا من المرات :
ويلى ! ثم ويلى !
إن عشريناً من الأصداء قد ردَّدن بالعشرين ويلى ..!

١٤٠ فاذا هى لاحظتها أنشأت تنشد لحناً فاجعاً ،
وارتجالا شرعت تصرخ شعراً مُوجعا ،
كم يحيل الحب شبان الرجال عبيد قُنّ [1] والشيوخ مُفتّنينا ، !

(١) قن ، القن : العبد الذى كان أبوه مملوكا لمواليه .

كـم يكون الحب فى الحمق حكيما فى حماقته وأحمق فى
فى الدنيا آنا فآنا
مع هذا لم يزل ترتيلها المحزون يُخْتم بالعويل ،...
دون ريب ستجاوب جوقة[1] الأصداء فى نفس السبيـل

١٤١ لحنها كان مُملاً طال حتى استغرق الليل ضِرارا ،
إن ساعات المحبين طوالٌ لو بدت - حتى - قصارا ،
فلئن أنسوا بأنفسهم سرورا ، زاعمين من عداهم فى ابتهاج ،
فاكهين بمثل ما هـم فيه من حال [2] وفى لعب كلعبهم يكلّله
اندمـاج
والحكايات الطـوال المسهبات - يبـدأون بسردها
عشرين مرة ،
تنتهى دوماً بلا نظّارة ، بل لا تتم بأى حال وهى ثره [3]

١٤٢ أين من تقضى دجى الليل معه ؟
غير أصوات كُسالى كالطفيليات أو كالإمعة ،
كالسقاة ذوى الجهارة فى الحناجر إذ يلبونّ النداء ،
وبذا يرضون أمزجة ذوى النزوات من أهل الذكاء
فإذا هتفت تقول : هو ذا .. هتفت الأصداء جمعا «هو ذا..!»

(١) الجوقة ، هى : ما يسمى فى المسرح والموسيقى بالكورس .
(٢) حال من الإفاضة فى الأمور والأوصاف المفصلة .
(٣) ثرة : غزيرة .

هن فى أهبة الاستعداد أن يتبعنها إن هتفت تنطق : « لا .. »

١٤٣ ويك : فانظر ! هـذه القُبَّرَة الحلوة أضجرها الجمام والرقاد ،
برزت من خدرها الخضل الندىّ إلى السما ذات العماد ،
وهى توقظه : الصباح ، حيث من فضىّ صدره
تشرق الشمس كملك طالع بجلال قدر ،
وهى ترنو نحو عالمنا بأمجاد الجلال
حيث تضفى ذهبها من عسجد كلل هامات الصنوبر والتلال

١٤٤ وتحييها فينوسُ وذلك الصبحُ الوضيء ،
إيه يا ربة شفاف الصفاء ، إيه راعية الضياء !
من سناها كل مصباح ونجم يتلألأ - يستعير
ذلك الأثر الجمالى الذى يجعله لمَّاعا يُنير
ها هنا يسكن ابن أرضعته ، لبان أم دنيويه
وهو يقدر أن يعيرك من ضياه قدر ما تضفين فى بساق
البرية

١٤٥ عند هذا القول هُرعت تبتغى بستان آمنْ .
قد جرى فى خَلَدِها أن النهار علا وقارب الانتكاس ،
كل هذا وهى لم تتلقّ خبرا عن حبيب القلب من أى طريق

فهي ترهف مسمعيها تبتغي صوتا لكلب أو ابُوق
ثم تَطرقُ سمعها أصواتهم للفور أذ تزأط [1] فى لجب* عنيف
فتُغذّ السير* فى عَجل ميممة إلى الصوت المخيف .

١٤٦ وهى تعدو ، ثم تعدو ، وشجيرات شجيرات قصار فى الطريق
بعضها يمسكنها من عنقها ،والبعض قد قبلن وجهاً* كالشقيق [2]
بعضها ، يلتف حول الساق ليعوق المسير
وهى تفلت فى جموح من عناقهم المضيّق والخطير
مثل أُرويةٍ [3] لبون ضرعها بالخير منتفخ ويؤذيها ويكوى ،
وهى تسرع كي تغذّى* خشْفهَا [4] الجائع فى أجم من الأجام يثوى

١٤٧ عند ذا سمعت كلاب الصيد فى حال انتصاب ودفاع وتوقف
وهو أمر أجفلت منه كمن شاهد أفعى حين تزحف
تتحوى فى حوايا قاتلات وهى تعترض طريقه ،
خوفُه منها سيملأ قلبه رعبا ويرعده فيغتصّ بريقه [5]
مع هذا فكلاب الصيد مذ نبحت بذعر وارتياع
أفزعت منها المدارك ،أودعت فى روحها كل ارتباك والتياع [6]

---

(١) الزأط : ارتفاع الصوت .
(٢) شقيق : شقائق النعمان – نبات أحمر الزهر .
(٣) اروية : نوع من الظباء.
(٤) خشف : ولد الغزال – الظباء
(٥) اغتص : مطاوع أغص . اى وقف ريقه فى حلقه رعباً .
(٦) التياع : لوعة .

١٤٨ فهى تعلم آنفا أنّ الطريدة لم تكن قنصا رقيقا لا يخيف ،
إذ هى العفر البليد أو هى الذئب المصاول أو هى الأسد
المبهنِسةُ * العيوف [١]
إذ يظل الصوت مصدره مكان واحدٌ بين الغياض :
حيث فى وجل تصيح به الكلاب صياح خوف وامتعاض :
عندما ألفَوْا عدوهم لعينا عارما
دلفوا * من خلف آداب السلوك تقاعسا ،.. من منهم
سيكون أول من يصول مهاجما !!

١٤٩ إن هذى الصيحة القتماء * تخرق مسمعيها بالشجون ،
حيث تدخل كي تفاجئ قلبها الوافى الأمين ،
الذى إذ يعتريه الشك والخوف المؤدى للشحوب ،
فى ثلوج الضعف يهوى شاحبا ، كل حس [٢] * فيه خدّره
اللغـوب [٣]
شأن جند عندما يذعن قائدهم لخَصم ذات مرة ،
إذ يفرون هوانا بالمذلة ، لا يطيقون منازلة وكرّة.

١٥٠ هكذا وقفت هنالك فى انفعال مرتعش ،
وهى تنعش أو تشجع زوجها وحواسها والقلب بالفـزع انكمش
وهـى تخبرهن أن الأمر وهم باطـل خُـرم الأساس ،

(١) المبهنسة (بكسر النون) : المختال .
(٢) حس : كل حواسه وأعضاء حسه .
(٣) اللغوب : الإرهاق والتعب .

إن دا خوف سخيف، بالطفولة قد يقاس ،
وهي تأمرها بأن كُفّيّ ارتجافا ، هي تأمرها بأن توقف
خوفا لن يفيدا :
وبهذا القول لمحت عينُها العفر المصيدا ،

١٥١ وإذا شفتاه ــ مزبدتين ــ صُبِغتا بحمرة ،
فكأن دماً ولبناً خلّطا عن غير فكرة
فسرَى في كل جارحة *[1] لها خوفٌ جديد ،
بجنون دفعها لم تدر في أينَ ولا كيف تحيد .
فهي تجري الآن في هذا الطريق ، .. ثم تعدلُ فتكفُّ ، ..
ثم ترجع كي توجه أفحش التقريع للقتل إلى العفر الصلف

١٥٢ إن ألفا من رهيب الخوف تحمِلُها إلى ألف طريق ،
فهي تخترقُ ممرا لن تعود إليه ثانية ، فأيان تفيق؟
مفرط العجلة منها ، أحبط التمويق قَصده
مثل حركات دماغ قد أضاع السُّكرُ رشده
فهو ممتلئٌ بأدب واحترام ، وهو بالتحقيق لا يحترمُ أحدا ... !
يده في كل شئٍ دسّها ، ... وهو بالتحقيق لن يثمر جهدا ... !

(١) جارحة : الأعضاء أو الأعصاب .

١٥٣ وهناك أمامها أحدُ الكلاب رأته محبساً بأُجَمَه ،
أقبلت تسأل ذا التعس الكليل نبأ سيده بهمّه ،
وهنا بصُرتْ بآخر يلعق الجُرحَ الأليم
يبتغى بُرء القروح مُسممات ،.. وهو ترياقٌ وحيدٌ ناجعٌ
منذ القديم
وهنا تشهدُ آخر بادى الحزن ووجلان مقطّب
فتُحادثهُ بإمعان يُجيبُ عليه بعواء المعذّب .

١٥٤ فإذا أوقف مشؤومَ ضجيجهُ ،
جاء آخرُ نادباً ، جهمُ المحيّا ، أشدق [1] الفم فى عَجيجهِ ،
مرسلا نحو السماوات رشاشا عاليا من نبحاته ،
ثم أخرُ ،ثم أخر ، يعججيبون لداوى صرخاته
وهى تمضى أثفرت* [2] بشوامخ الأذناب للأرض بذلّه
هذت الآذانَ داميةً بما خُدِشت ، بلا أدنى تجاه

١٥٥ وتأملْ .. كيف يذهل أهل دنيانا المساكين ضعاف السطوات
عند مرأى الرئى [3] والأشباح والآيات بلهَ المعجزات
التى يا طالما نظروا إليها بعيون خائفات ،
يخلطون بها رهيب تنبؤات ،

---

(١) أشدق : من صفات كلاب الصيد — سعة الفم .
(٢) أثفرت : أى تدلت أذنابها الشامخة العالية إشارة إلى الهزيمة .
(٣) الرئى : الجن يعرض للانسان .

تلك آياتُ رأت بإرائها أن تأخذ النّفس العميق : —
ثم إذ تنزفر، ثانيةً تصرخُ فى الموت بضيق :

١٥٦ « أيها الطاغية الجهم الدميم ، الأعجف الضاوى النحيف !...
أيها الموت المفرق للأحبة !... » هكذا وبخت
الموت بما قارف من ضُرٍ مخيف
« أيها الشبح المخيف المضحك ! .. دود الأرض ، . .
ما تعنيه من
خنقك الحُسْنَ وسرقة ما به من نفَس عز على كل ثمن ؟
وهو من إذ كان حياكانت الأنفاس منه ورائع الحسن الطرير
تنفح الورد بهاءه ، .. والبنفسج عطره الزاكى النضير ! .

١٥٧ « هل ترى قد مات ؟ كلا ... ذاك شىء لا يكون ،
— « مذ نظرتَ جماله ما كان يجدر أن تُفَوّق أى سهم للمنون :—
بل نَعَمْ ،.. بل ربما .. ! إذ أنت لا تملك عيْنا تبصرُ ،
بل بحقــد ، بيد البغضاء تضرب ضربة العشواء لا تبصر
إن مرماك هو الشيخ ، هو السن الضعيفة
بيد أن السهم يَخطئ منك ، .. يُصمى مهجة الطفل
الرهيفة !.. »

١٥٨ « لو أهبت به : « أن احذر » ، .. كيف لم يتكلّمْ ،..

ولو سمعتَ مقاله،.. لأضاع حولَك[1] حوله ظلما ولم يتأثم
سوف تلعنك المقادير بما سددتَ هذى الضربة ،
فهى ناطت بك أعشابا تُقَلعها ، .. فأَبْتَ بزهرة [2]
إن سهم الحب من ذهب لأوشكَ - أو لوجب - أن يصيبه
لا سهـام الآبنوس السود للموت التى أرْدَتْهُ إذ كانت
تصيبه !

١٥٩ « هل شرابكَ من دموع ، كى تثير بأعينى هذا البكاء ؟
ما يعود عليك من جدوى بزفرى أنّة حرّى تبطنت الشقاء
لمْ سبكت اليوم فى نوم الخلود
تلكُم الأعين ، .. من علّمْن ألحاظ الورى كيف ترى ما فى
الوجـود ؟
لمْ تعد هذى الطبيعة بعد لتبالى بعاصف * قوتك
منذ دمّرْت لها أبدع ما صنعت بنصل سخيمتك » [3]

١٦٠ وهنا انهارت كمن قد غاص فى يأس عميق ،
أسبلت أجفانها منعت كفتحات على سدٍ رشيق
ذلك الفيـض المبلّر مارقا يأبى بصفحة ذلك الخد الأسيل
وسط مجرى صدرها الفاتن - إلا أن يسيل

---

(١) الحول : القوة - لم يتأثم : لم يشعر بأنه أثم .
(٢) أى انك بدلا من أن تنزع العشب كما كلفت ، اقتطفت زهرة .
(٣) سخيمتك : أى حقدك .

لكن انظر من خلال رتائج[1] الفيضان سالت عنوة
ديم[2] اللجين
وبمجراها[3] القوى تعد فتح رتاجها* للضفتين

١٦١ آه ! ... كيف دُموعها والعين قد راحت تعير وتستعير ! ..
وإذا العينان في الأدمع قد بدتا ،.. وبان الدمع في العين قرير،
ها هما بللورتان* تشاهدان على التبادل ما لكل من شجن
وهي أشجـان أرادت أخلص الزفرات منها أن تجف بلا وهن
رغم هذا شأن يوم عاصف ما بين ريح ومطر ،
كانت الزفرات تُنَشف خدّها فيبلُّ من فور بدمع منهمر .

١٦٢ زُحمت في ويلها الدائم ألوانُ العواطف والمشاعر ،
متبارى أيها يغدو لها الشحن الموارى كل آخر ،
بين تسلية ولهو ،حيث تسعى كل عاطفة — مكينه
أن تبوّئَ كل حزن عارض أعلى مكانه
لكن اذ لم يكُ فيها أفضل :.. اجتمعت عليها لاتريم* ،
كالسحائب قدْ تَجَمَّعْنَ كثيرات تدبر خطة الجو الجهيم

١٦٣ عند ذلك من بعيد سَمعتْ صوتا لصياد تفوّه بالتحيَّة
أين من ذلك ترنيمةُ مُرضعة لطفلتها الصبية ؟

---

(١) الرتائج : أبواب السدود .
(٢) ديم اللجين : سحائب الدموع الفضية
(٣) بمجراها ، مصدر ميمي بمعنى الجريان .

إن أول وهمها الجهم الذى قد تَابَعَتْهُ واجمة
جَدٌّ هذا الصوت صوت الأمل يطرده لتحيا ناعمة
ذاك أن الجذَل المبعوث حيا راح يدعو رُوحها أن تمرحا ،
إذ يخادعها بأن الصوت لأدونى ضحوكا مازحا .

١٦٤ عند ذا طفقت دموع العين تنحسر،.. تغيرمدها الهامى[1] الثجـوج
حيث حُبست فى محاجرها لآلئ من زجاج ،
مع هـذا ربما يحدث أحيانا بأن جمانة درية منها بجانبها تقـع ،
فيذيب الخد دُرّتها ، إذا مرت مرور زراية ، وقد امتقع
حيث تغسل وجه أرض فى الدّناسة معرقة ،
وهى ليست غير سكرى ، بينما تبدو لعينك مغرقة ،

١٦٥ أيها الحب المُنَوط « بآفة » « الشك » لكم يبدو عجيبا
أن تأبىَ أن تصدق ثم تقعُ فى حبائل سرعة التصديق ،
لا تخشى مريبا
ان ويلكَ والسرور كلاهما متطرفُ
أنت بين اليأس و الآمال مَضْحكَةُ لمن لا يرأف
إن أحدهما يداهن عقلك المضْنَى بأفكار محالة
ثم فى المُمْكن منها ينبرى الآخر يرديك « سريعاً لا محالة

(١) الهامى الثجوج : الغزير المنهمر .

١٦٦ ها هى الآن تعود لنقض ما غَزَلتْ يداها
إن أدونيس يعيش وما لها بالموت تثريب ، .. بديها ،
لم تكن هى بالتى نعتته « بالمرذول .. ، ذى الصفقة المشينة !.. »
ثم ها هى ذى تحوك الغار إكليلا لكنيته المبغضة المهينة ،
وهى تدعوه بيا ملك المقابر « يا مُقابرُ كل مَلْك
والأمير السيد « الغطريف[1] للفانين بين فكاك هُلْكِ

١٦٧ صاحت الحسناء : « لا ! .. لا ! .. أيها الموت الجميل فلست
إلا مازحه ،
ألف معذرة فإنى كنت خائفة قليلا ، .. لم أكن بالقادحه «
عندما قابلت ذاك العفر ذاك الكاسر الدموى طبعا
الذى لا يعرف الشفقة والرفق ويمعن فى العرام ، يسىء صنعا
لست أنكر أيها الظل « الرقيق أننى ما عدت أدرى ما جرى لى
قد حملت عليك حقا ،.. كنت أخشى موت حِبى[2] موت
تمثال الجمال »

١٦٨ « لم يكن ذلك خطأى ! ... هيج العفر لسانى
فانتقم منه وشيكاً ... أيها الأمارةُ « المستور عن كل عيان ،
إنه الشرير حيث رماك قصدا بالإساءة ،

(١) الغطريف : السيد الكريم .

(٢) حِبى ، الحب بكسر الحاء هو الحبيب .

لم أكن إلا الممثلَ ، بينما كان المؤلِّفَ للبذاءة ،
أوتَى الحزنُ لسانين ، ولم تقدر إلى الآن امرأة
أن تسوسهما بغير ذكاء عشر كلهن الهادئة »

١٦٩ هكذا إذ تتمنى كون آدونيس حيا والجوارح سالمةً ،
أقبلت فورا تلطِّف وقع ريبتها الجموح العارمة ،
وتمنت لو يظل جَمَالُه ملء الملاحظ رابيا ،
فاستدارت تدهن الموت ، تداجيه ليبقى حانيا ،
وهى تنبئه بانباء الغنائم والتماثيل وأحداث وقصص ماضيات
وانتصارات وأمجاد له بين البنود* الخافقات

١٧٠ ثم صاحت « أوه يا رباه ! كم كنت سخيفة !..
إذ حويت مثل هذا الحمق والفطَن الضعيفة
إذ أنوح مَمَات من يحيا ، ومن هُو ينبغى ألاّ يموت..
أو [1] يُغيَّبَ فى ثراها كل فان كانت الأرض تقوت •
إنه لو مات ذُبح الحسن معه والجمالُ
فإذا ولى الجمالُ عادت الفوضى الكئيبة والخبالُ. »

١٧١ « ويك ! .. تباً !.. أيها « الحب » المحمق كيف تغمر بالمخاوف أو تغوص ! ؟

(١) او : بمعنى حتى .

كالمسافر سار بالكنز الثمين تنوشُه زُمَر اللصوص ،
إذ يبدد جهده من غير أن يأتيه برهان لعين أو أذن ؟
قلبك الرعديد بالفكر المزيف في شجن ؛
فهي حتى عند هذا اللفظ تسمع صوت بوق ضاحكا ومدويا ،
فهي تقفز منه فرحا ، وهي منذ هنيهة تلك التي حملت
فؤاداً خاويا * (١)

١٧٢ كانطلاق الصقر تلبية لمرأى ريش * سيدة استطيرت (٢)
ورءوس العشب لا تحنى ، ولا من خفة الوطء بقدميها أضيرت
لكن العينان قد شهدت لسوء الحظ في أثناء عجلتها أليما
اعتداء العفر عدوانا على تمثال بهجتها فظيعاً وجسيما ،
منظر ما شهدته عيونها حتى تهاوت كالذبيح *
كالنجوم الزهر (٣) أخجلها ضياء الصبح فانسحبت تريح

١٧٣ أو كقوقعة تأذّى قرنها الغض الرقيق ،
فانثنت ألماً ، ولاذت في محار صيغ كالكهف العميق ،
حيث تقبع في اختناق مطلق بين الظلال وتشرع
بعد أن طالت مخافتها ، لزحف من جديد تزمع
فكذلك مقلتاها فرقًا من هول مشهده الرهيب

(١) فؤادا خاويا : اى مملوءا بالمخاوف .
(٢) استطيرت : استطيرت فينوس طارت فوق الأعشاب فلم تحن رءوسها لخفة وطئها عليها .
(٣) النجوم الزهر : في ذلك إشارة إلى انحراف سواد العينين وظهور بياضهما أثناء الإغماء .

غابتا[1] فى حندس الأعماق من كهفين بالرأس الكئيب *

١٧٤ حيث سلمتا جهودهما وما تليان من عمل ونور
رهن قبضة الاضطراب بعقلها اللغب المثار
الذى يأمرهما أن يلزما دوما ذرا[2] الليل القبيح
لا تعود ان لجرح القلب بالنظرات ثانية ، إذ القلب جريح
مثل ملك قد أصيب بالارتباك بعرشه يتلهف ،
باقتراحهما يعالج أنة حرى تكاد لها الجوارح تتلف

١٧٥ وهو أمر راح منه كل قيل[3] تابع يتزلزل ؛
مثلما يحدث للريح الحبيسة * فى بطون الأرض إذ تتقلقل
ترتجى المخرج ، فتهز الأساس لأرضنا بحرا وبرًا .
وبثلج الرعب تبعث الارتباك بعقل كل الناس طرًا
كان ذ لك تمردًا وقعت له الأرجاء فى أعظم دهشة
فانبرت تثبان عيناها من الأعماق والظلمات للجفن الذى
عاود رمشه ،

١٧٦ فاذا انفتحت فألقته بغير ارادة منه ضياء راغما
فوق جرح غائر قد حفره العفر غشوما ظالما
فى حواشى كشحه الغض الذى مألوف زُهرته (٤) بلون الياسمين

(١) غابتا : إشارة إلى انحراف العينين من الهول .
(٢) الذرا : (بفتح الذال) : الملجأ .
(٣) قيل : أمير أو ملك تابع لذلك الملك .
(٤) الزهرة : شدة البياض المألوفة فيه

قد تندت [1] بدموع أرجوان ،.. نشجهـا الجرح الحزين
قضى الأمر فما من زهرة دانية أو عشبة أو ورقة أو قل نجيل
لاترى إلا وقد سرقت دماه ـ فبدت تنزف معه وتسيل .

١٧٧ أدركت مسكينة فينوس فى ألم تعاطفهن موفور الجلال
فوق إحدى كتفيها ، دلت الرأس بلا أدنى مقال
وهى تأسى فى سكوت ، .. تندله فى جنون
فهى تزعم أنه ليس يموت ، لم تصبه يد المنون :
وهنا يحبس [2] منها الصوت ، .. والأوصال * تنسى الانحناء
إن عينيها أصابهما الجنون حيث حتى الآن قد دأبت على
هـذا البكـاء .

١٧٨ نظرت فى جرحه ، نظرات فحص ثابتات ،
دمن حتى سدر * [3] اللحظ فجعل الجرح يتبدى ثلاثا كاملات
ثم تنحى بالملام على اللحاظ الخالطات * الحائدة
التى تخلق ثغرات كثار ، بينما لا ينبغى منهن حتى واحدة
ويلك ! ... يبدو وجهه فى سحنتين ، كل عضو من كثير
عضاته [4] هو فى ازدواج ، ...
إذ كثيرا ما يفوت عيوننا وجه الصواب ، عندما يختلط
العقل ويضطرب المزاج

(١) شبه الدم السائل من الجرح بالدموع الأرجوانية .
(٢) اى يشل جسمها عن كل صوت وحركة .
(٣) سدر : سدرت العين إذا تعبت من إدامة النظر .
(٤) عضاته ، جمع عضو .

١٧٩ ثم قالت : « ولسانى ليس يقدر أن يعبر لوعتى من أجل واحد
مع هذا تَشهدُ العين أدونيسين صرعى فى المراقد ! !
إن زفراتى مع الريح تطير ، ... أدمعى المحة ولت ضائعات
إن عينى تحولتا لنار،.. إن قلبى أصبح الآن رصاصا كالموات
والرصاص بقلبى المثقل راح تذيبهُ نيران عينى الحامية !
وكذلك سوف أقضى النحب بالقطرات « أُضحية لما ألقاه
من رغبة جسمى الكاوية »

١٨٠ « آه ! . . أسفا !.. أيها العالم يا مسكين أسفا ! أى كنز
قد فقدت مؤخرا ! ؟
أى وجه ظل حتى الآن حيا .. يستحق النظرا
والموسيقى الآن ، ... ما شىء غدت فيه لسانا ؟
أى شىء تستطيع لأجله أن تفخرا ؟
بين أجمع ما أقلته الدنى للآن أو ما سوف يأتى ويُرى !؟
كيف هذا الزهر يبدى حسنه !.. لونه زاه بهيج ناضـرُ !؟
إنما الحسن البديع الحق : معه عاش ،.. معه مات ،.
لا يتأخـرُ . !

١٨١ « لا قلانسُ ،.. لا لثامُ ،.. منذ هذا اليوم لن يُريًا على رأسى
إلى أبد الزمان !
ثم لا الشمس ولا الريح محـاولتين تقبيلا لخدك بامتنان
لم يعد يحوى جمالا يُفقد.. ما الذى تخشاه أو ماذا تخاف ؟

إن هذى الشمس تسخر منك والأرياح قد فَحتَ * عليك
في اعتساف * (١)

لكن اعجب !.. عندما كان أدونيسُ يعيش كانت الشمس
مع الريح المثلج فى خَبَاله * (٢)

تتسلل فى خفاء كاللصوص ، تبتغى السطو على باهى جماله »

١٨٢ « عند ذلك يرتدى هذى القَلَنسة * فوق رأسهْ ،
تحت حافتها تطل الشمس فى ألق وبهرجة (٣) لمسّهْ
فتُطير الريح كَمتّه (٤) ،.. فان ذهبت بعيدا ،
عبثت بالخصل الفرعاء (٥) ،.. يبكيها أدونيسُ أكيـدا
عند ذلك يرثيان – معاجلين – لعمره الغض النضير ،
فهما يسّابقان كلاهما مَنْ منهما سيكون أول من يجففُ
دمعه الخصل الغزير »

١٨٣ « عند مرأى وجهه يمشى الغضنفرُ فى استتار
من وراء سياج حقل ، حيث يعلم أن خوفا لن يداخل ذلك
البطل المزير
كى يسلّى النفس ، إذ يرسل بالصوت غناءه

(١) اعتساف : الظلم .
(٢) خباله : فساد عقله .
(٣) بهرجة : زينة بادية .
(٤) كمته : قلنسوته .
(٥) الفرعاء : هى خصل الشعر الطويلة الغزيرة .

يصبح النمر الهصور [1] مؤنساً حاو استماع فى براءة
إن تكلم ، يترك الذئب فريسته متى يسمع كلامه
ثم لا يرهب ذاك اليوم من حمل سخيف بقلامه * [2] »

١٨٤ « كلما شهد الخيال المرتشى منه على وجه الغدير
كانت الأسماك تنشر فوقه خيشومها ألقاً من الذهب النضار ،
ومتى اقترب تداعى الطير طرباً بالسرور ،
منه ما غنى ومنه باذل * . من طرف منقار صغير
ثمرات التوت والكرزات حمرا ناضجة
كان يغذوها بمرآة الجميل ، وهى تغذوه على الثمرات * [3]
مزاً طازجة »

١٨٥ « بيد أن العفر ذاك القنفذى الفم ، والجهم البغيض ،
الذى تنظر عيناه لأسفل ، باحثاً فى الأرض عن قبر عريض
لم يشاهد قط بزة حسن طلعته التى هو مرتدى !
لم يمتع قط بالنعم التى قد ، عب [4] منها كل راء مسعد ،
ثم هو لو أنه شهد المحيا إننى لعلى يقين
أنه فكر فى تقبيله ، فرماه عن قوس المنون .

(١) المؤنس : المهذب المروض .
(٢) بقلامه : ادنى قدر من الأذى .
(٣) مزا : للذة
(٤) عب : شرب بوفرة .

١٨٦ «حُقّ فعلاً !.. حُقّ فعلاً ! .. أن ذا قد كان أدونيس مُردّى :
بسنان الحرية المشحوذ شحذا هاجم الخنزير [(١)] قصدا
الذى لم يشْحَذ الأسنان فيه من جديد ،
بل أراد بقبلة إقناعه بالمكث والصلح هناك ولا مزيد ،
فإذا ما دس أنفيه إلى كشحيْه ذا العفر المحبُّ
أغمدَ النّاب بلا قصد بخاصرة لها الأعين تصبو »

١٨٧ « إننى لو كان لى بالمثل أسنانٌ كأسنانه .. إنّى لست أنكرْ
أنه لو أننى قبلته ، قد كنت قبل اللثم أعقِرْ ،
ذاك لولا أنه بالفعل قد مات ، .. ما بارك ما بى
من شباب بحوالى* قبلاته ، ... فتمادت نقمتى ذاد عذابى ! ! »
عند ذاك هوت بنفس مكانها فعل المهيض الخائر
فتلطّخ وجهها من دمه القانى النجيع * الخائر .

١٨٨ نظرت فى شفتيه ، ها هما شاحبتان
أمسكت فورا يديه ، . . . . فاذا باردتان
همست فى أذنّيهْ قصةً حرى ثقيلة ،
وكأن تستمعَ الأذنان مانطقته من كلم مفجعة كليله
رفعت أبواب صندوق كنوز سترت حدقات عينيه الجميله

(١) الخنزير هو العفر الذى يقتل أدونيس

حيث وا أسفا ! ... سراجان قد انطفآ وحلّت فيهما
سدف *[1] ثقيلة

١٨٩ تلك مرآتان ، وهى بنفسها شهدت كثيرا نفسها إذ فيهما
نظرت مليا [2]
ألف مرات ، وثم الآن لا تعكس شيئا ،
حيث قد فقدت مزاياها وسائر فتنة فاقت بها أثناء عمره .
ثم جرد كلُّ حسن فيه من تأثير سحره
ثم صاحت « إيه أعجوبة دهرى .. هذه هى شقوتى ،
أن تموت الآن ، ويظل النهار منوراً ، تركته كفّ الظلمة . »

١٩٠ « إنما الآن وقد غالتك أسياف المنية .... إننى أتكهّنُ ،
بالأسى « للحب » ، إذ أن الأسى للحب منذ الان يلزمه
ولا يتحنن
ستكون الغيرة النكراء ، خادمَهُ وتتبعه كظلّه ،
وهو مُر فى النهاية إن يكن مستعذبا أو سائغا فى مستهله
لن يسوّى الأمر فيه – جلّ أو هان – على ميزان عدل منصف ،
كلّ متعات النعيم فى الهوى ، . . لن تضاهى ما حواه من
عذاب متلف . »

(١) سدف ، بضم السين : الظلمات .
(٢) مليا ، أى : طويلا .

١٩١ « إنه سيكون حقا زائفا متقلبا ، يطوى الضلوع على الخداع
تمحق الغلات فيه مع البراعم وشمك برق في التماع
سيكون القاع مسموما ، وسطح الكأس مكسواً طليًا
بحلاوات تخادع أنفذ الأنظار رأيا *
وأشد الناس أيدا (١) سوف يجعله ضعيفا واهنا بين الأنام
يخرس العاقل بكما ، .. ويُعلم أحمقاً فن الكلام »

١٩٢ « إنه سيكون مقتصدا شحيحا ثم متلافا يبذّر في جنون
إنه ليعلم السن (٢) الكسيحةَ كيف تخترق الحدود وكيف
تقتحم الحصون ؛
الصفيقُ أخو الشكاسة سوف يُلزمه السكينه ،
سوف يخسفُ بالغنيّ وسوف يحبو الفقر بالدّرر الثمينه ،
سوف يصبح ثائرا من جنّة (٣) أو أحمقاً سلسا وديعا
سيؤول به الصغيـر إلى كبير ، - وسيغدو الشيخ فى أفيائه
طفلا رضيعا . »

١٩٣ « سوف يرتاب ! .. وليس هناك من سبب يسوغ أن يخاف
وأن يهابا ،
لن تداخله المخافة بينما تستوجب الأوضاع خوفا وارتيابا

(١) الايد : القوة .
(٢) السن الكسيحة : الذين علت بهم السن فأقعدتهم عن الحركة .
(٣) الجنة ، بكسر الجيم ، هى : الجنون .

سيفيض القلب منه رحمةً ، أو قد يُقدُّ من الحجارة قسوةً
لا تَرِفُّ ،

أو يصاغ من الخداع الصرف ،إذ يبدو بثوب عدالة يتألقُ ،
ستراه ذا اعوجاج وضلال ، .. وهو يتجلى أمام الناس فى
أقوم صورهْ ؛

ويبث الخوف فى الإقدام، والإقدام فى المهج المجبنّة الحقيره . »

١٩٤ « إنه سيكون سببا فى الحروب مرد أحداث أليمة
سوف يبذر بين الابن وأبيه بذرة الخُلف جسيمة ..
خاضعا بمذلة لجميع أنواع التذمر فى النفوس ،
كهشيم جف حتى دان للنار الضَّروس :
وكما أودت يد الموت – بعمر الزهر ظلما – بحبيبى
كل من أخلص فى الحبّ فلن ينعم فيه بنصيب . »

١٩٥ عند ذا كان الصبىُّ المرتمى غدرا بجانبها صريعا
قد تسامى كالبخار ، .. ومضى قُدام عينيها سريعا ،
ثم فى دمه الزكى وقد جرى فى الأرض مسفوكا يسيل ،
نبتت فورا بلون الأرجوان زهيرةٌ وشّى البياض جمالها الغض
النبيـلْ ،

تشبهان شحوب خديه ومسفوك الدماءْ
إذ ترقرقن ، عقيقا فى دوائر ، فوق وجنات وضاء !

١٩٦ وهى تحنى رأسها كيما تشمَّ الزهرةَ البكر الجديدة .
كى تقيسَ بعطرها أنفاسَ أدونيس الفقيدة
إذ تقولُ لنفسها : إن الزهيرةَ سوف تبقى فى حنايا الصدر
منها سرمديا ،

ما دام أدْنى نَفْسه قد غاله الموتُ وغيّبه مليا ،
وهى تهصرُ ساقها ، .. فبدا لها فى الموقع
سائلُ خَضرٌ تقطّر شبّهته بمثل سيل الأدمُع .

١٩٧ ثم قالت : « زهرتى المسكينةَ الحسناء تلك برودُ[1] والدك
موشاة نضارا[2]

أيها النسلُ الجميل لوالد أزكى عبيرا ،
كل أحزان صغار إن تبدّل بالمدامع مقلتيه .
كان يرغب مخلصا لترعرعت فى شخصه رُبيت لديه
ولذلك فهى لك : لكن اعلم أنه يعدل ذاك فى الخير العميم
أنها تذبل فى صدرى كما تذبل فى دمه الصميم . »

١٩٨ « ها هنا كـان فراشُ أبيك عندى ، ها هنا فى داخـــل
الصدر يقيم
أنت أدنى الناس مقربةً إليه ولك الحق بل الحق القويم

(١) برود : أثواب .
(٢) النضار : الذهب .

ها خذيه فى حمى المهد[1] المجوف كل قسطك من جمام * [2]
إن قلبى حين ينبض سيهزك فى نهار أو مدى جُنح الظلام
لن تكون هناك ثانيةٌ بساعه
لا أقبلٌ فى ثناياها زهيرةَ حبىٌ الحسناء فى غير قناعه[3]

١٩٩ وهنا * تعباً من الدنيا – مضت فورا تعجل بالرحيل
وهى تَقرنُ من يمامات * لجين ، من يساعدنَ على الإسراع
فى السفر الطويل
أركبت مولاتها فى عبر أجواز السماء
وهى لا تلوى على شىء ، بعَربتها الأخف من الضياء ،
ميممات شطر بافوس[4] بملكتهن حيث تريد فورا للأبد
أن تُوارى نفسهَا كى لا يراها بعدَ ذلك من أحد .

تم بحمـــد الله

(١) المهد المجوف : الصدر وقلبها .
(٢) جمام : راحة وهدوء .
(٣) فى غير قناعة ، المعنى : بغير حدود .
(٤) باقوس : مدينة بجزيرة قبرص كان بها معبد ضخم لفينوس .

هى القصيدة الشعرية التى بدأ بها شكسبير أعماله الأدبية ، هى وأختها «اغتصاب لوكريس» . وفيها أبرز الشاعر العظيم قدراته فى روعة الفن وسلاسة العبارة ، والغوص فى أعماق النفس البشرية واستجلاء مكنوناتها ، وفيها يجلى الشاعر الملهم إنجازاته وأسلوبياته الرائعة فى حوار حوى من الاستعارات والكنايات والتوريات والتلميحات ما يعجز دونه كل قلم ، إرهاصاً بما سيسيل به قلمه بعد ذلك من رائع الدراما فينوس شغفها أدونيس حباً ولكنه حب جسدى ، بادلها به إعراضا وتتصارع الرغبة مع السمو ، والجنس مع العفة . وعبثاً تحاول فينوس إيقاعه فى حبائلها بالإغراء والإقناع ، وإذكاء الشهوات . ولكن عبثاً ما تحاول إيذاء من يتحصن بالجد والعفاف لكن هيهات لها ذلك إزاء من يتحصن بالجد والاستعصام .

مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب

٨٥ قرشا

